قضية
الوحى فى القرآن الكريم

الدكتورة

سهام فاروق محمد عمر

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل خلقه محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين ، الموحى إليه بآيات الذكر الحكيم ، صلى الله تعالى وسلم وبارك عليه وعلى من سبقه من النبيين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإنى أحمد الله عز وجل أن وفقنى إلى خدمة دينه ، ويسر لى الأمور للاشتغال بالعلم دراسة وتدريساً ، وكتابة وتأليفاً ، وكان من أجل إكرام الله عز وجل أن ألهمنى البحث فى علوم القرآن . . لكنى والحق أقول : وقفت حائرة متحيرة أمام هذا الخضم الهائل من علوم القرآن متساءلة : فى أيها أبحث وأدرس ؟ فالقرآن الكريم مفجر العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ومطلعها ، أودع الله سبحانه وتعالى فيه علم كل شئ وأوضح فيه وأبان كل هدى وغى ، فترى كل ذى علم وفن يستمد منه ويعتمد عليه .

فالفقية يستنبط منه الأحكام ، ويستخرج حكم الحلال والحرام .

والنحوى يبنى منه القواعد والإعرابات ، ويرجع إليه فى معرفة خطأ القول وصوابه .

والبيانى يهتدى به إلى حسن النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة فى صوغ الكلام .

وفيه من القصص والأخبار مايُذكّر أولى الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال مايزدجر به أولو الفكر والاعتبار ، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها .

إلى أن هدانى رب العالمين – بعد استخارته – إلى دراسة (**قضية الوحى فى القرآن الكريم**) .

فالوحى من القضايا التى أثيرت حولها شبهات عديدة وأنكرتها قلوب جاحدة ، وعقول واهية .

وقد جعلت بحثى فى خمسة مباحث :

الأول : مفهوم الوحى ومعناه .

الثانى : صور الوحى وكيفياته .

الثالث : فتور الوحى وانقطاعه .

الرابع : الأدلة على وقوع الوحى .

الخامس : شبه الجاحدين على الوحى والرد عليها .

وأسأل الله تعالى الهدى والسداد والتوفيق لما فيه رضاه وصلاحنا ، وأدعوه تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم ونافعا لعباده الصالحين .

والله من وراء القصد ، وإليه الإنابة ، وهو المستعان ، ومنه التوفيق ، وعليه التكلان .

د . سهام فاروق محمد عمر

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر

المبحث الأول

مفهوم الوحى ومعناه

أولاً : معنى الوحى فى اللغة

أطلق العرب لفظ (الوحى) واستعملوه فى لغتهم ، وفيما يلى نستعرض أقوال علماء اللغة فى معنى الوحى .

١ - قول ابن منظور فى لسان العرب :

" الوحى : الإشارة ، والكتابة ، والرسالة ، والإلهام ، والكلام الخفى ، وكل ماألقيته إلى غيرك ، يقال : وحيت إليه الكلام وأوحيت ، ووحى وحيا وأوحى أيضا . أى كتب . قال العجاج :

حتى نحاهم جدنا والناحى لقدر كان وحاه الواحى [١]

والوحى المكتوب ، والكتاب أيضاً ، وعلى ذلك جمعوا فقالوا وُحِيّ مثل خُلّى وحلى . قال لبيد . . . كما ضمن الوُحىّ سلامها [٢] . وفى حديث الحارث الأعور قال علقمة : قرأت القرآن فى سنتين فقال الحارث : القرآن هين ، والوحى أشد منه ، أراد بالقرآن القراءة ، وبالوحى الكتابة والخط ، يقال وحيت الكتاب وحيا فأنا واح (أى كاتب) . . . وأوحى إليه : بعثه ، وأوحى إليه : ألهمه ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [٣] .

وفيه : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ ﴾ [٤] ، ومعنى هذا : أمرها ووحى لها . وفى هذا المعنى قال العجاج :

---

(١) وحاه الواحى : أى كتبه الكاتب .

(٢) السلام : الحجارة ، أراد كما تضمن الحجارة وتحفظ مايكتب عليها .

(٣) سورة النحل : آية ٦٨ .

(٤) سورة الزلزلة : آية ٥ .

وحى لهـــا القـــرار فاســـتقرت وشَرَّها بالراســـيات الثبـــت [١]

وقيل : أراد أوحى إلا أن من لغة هذا الراجز إسقاط الهمزة مع الحرف ويروى أوحى ، ووحى إليه ، وأوحى : كلمه بكلام يخفيه من غيره ، ووحى إليه وأوحى : أومأ ، وفى التنزيل العزيز ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ [٢] .

قال الفراء : " أى أشار إليهم ، قال : والعرب تقول : أوحى ووحى وأوعى ووعى بمعنى واحد ووحى يحى ووعى يعى . . .

وأوحى الله إلى أنبيائه : قال ابن الأعرابى : أوحى إذا بعث برسول ثقة إلى عبد من عبيده ثقة ، وأيضا إذا كلم عبده بلا رسول ، وأوحى الإنسان إذا صار ملكاً بعد فقر ، واستوصيته إذا استفهمته ، والوحى مايوحيه الله إلى أنبيائه ، قال ابن الأنبارى فى قولهم : " أنا مؤمن بوحى الله سُمىَ وحَيّاً لأن الملك أسرّه عن الخلق وخص به النبى ﷺ المبعوث إليه . . . وقال أبو إسحاق : أصل الوحى فى اللغة كلها إعلام فى خفاء ، والوحى (بفتح الحاء ممدودة) النار ، والملك ، والسيد من الرجال ، والوَحْى والوَحَى مثل الوغى : الصوت يكون فى الناس . . . والوَحَا الوحَا ، والوَحاء الوَحاء ، البِدار البدار ، الإسراع الإسراع . . . ومَوْتٌ وَحِىّ سريعُ ، والإيحاء : البكاء يُوحى أباه : يبكيه ، والنائحة توحى الميت تنوح عليه ، ومن أمثالهم " من لا يعرف الوَحى أحمق " يقال للذى يتواحى دونه بالشئ أو لتعيير من لا يعرف الوحى ، ومن أمثالهم " وَحْىّ فى حجر " يضرب مثلاً لمن يكتم سره

---

(١) أى أمر الله الأرض بالقرار وشدها بالجبال الراسيات . .

(٢) سورة مريم : آية ١١ .

، وللشئ الظاهر البين " . [١]

٢ – قول مجد الدين الفيروزآبادى فى القاموس المحيط :

" الوحى : الإشارة ، والكتابة ، والمكتوب ، والرسالة ، والإلهام ، والكلام الخفى ، وكل ما ألقيته إلى غيرك ، والصوت يكون فى الناس وغيرهم ، كالوحى ، والوَحَاه الجمع وُحِىّ وأوحى إليه بعثه وألهمه ونفسه وقع فيها خوف . . . واستوحاه حركه ودعاه ليرسله واستفهمه ووَحاه نوْحيه عَجّلَه " . [٢]

٣ – قول أحمد المقرى الفيومى صاحب المصباح المنير :

" الوحى فى الإشارة والرسالة ، والكتابة ، وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه وحى كيف كان قاله ابن فارس . . . ثم غلب استعمال الوَحْى فيما يُلقى إلى الأنبياء من عند الله تعالى ، ولغة القرآن الفاشية أوحى بالألف . . . ووحيت الذبيحة أحيهَا ذبحتها ذبحاً وَحيًا . . . واستوحيتُ فلاناً استصرخته " . [٣]

٤ – ويقول محمد بن أبى بكر الرازى صاحب مختار الصحاح :

" الوحى : الكتاب ، وجمعه وُحِىّ مثل حُلِىّ ، وهو أيضاً الإشارة ، والكتابة ، والرسالة ، والإلهام ، والكلام " . [٤]

---

(١) لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ج٢٠ ص ٢٥٧ .

(٢) القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادى وما بعدها طبعة الدار المصرية للنشر ص ٤٠١ طبعة مصطفى الحلبى . ج٤

(٣) المصباح المنير لأحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ص ١٠١٠ طبعة الأميرية .

(٤) مختار الصحاح : لمحمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى ص ٧٣٠ طبعة الأميرية .

٥ – وقول الزمخشرى :

" أوحى إليه وَوَحَى بمعنى ، وَوَحَيْتُ إليه وأوحيت كلمته إذا كلمه بما تخفيه عن غيره ، وأوحى الله إلى أنبيائه . . الخ " [١] فلم يضف الزمخشرى جديداً إلى ماسبق إلا أنه وافقهم .

٦ – أما قول الراغب الأصفهانى :

" أصل الوحى الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل : " أمر وَحِى " وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون بصوت مجرد من التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة . . . ومن وحى الإيماء بالجوارح قول الشاعر :

فأوحى إليها الطرف أنى أحبهـا فأثَّر ذاك الوحى فـى وجناتهـا

وبعد أن استعرضنا أقوال علماء اللغة نستطيع أن نخلص إلى نتيجة وهى أن الوحى إعلام سواء أكان بإشارة ، أو بكتابة ، أو برسالة ، أو بإلهام ، أو بكلام سريع وخفى ، فكل هذه الوسائل وسائل إعلام لتبليغ أمر ما .

---

(١) أساس البلاغة : لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ص ١٠١٠ طبعة الشعب .

ثانياً : معنى الوحى فى الاصطلاح الشرعى

والمعنى الاصطلاحى قد يكون تخصيصاً للمعنى اللغوى أو قصراً له على واحد من أفراده أو نقلاً له إلى معنى جديد تربطه بالمعنى اللغوى رابطة معينة ، وقد لا توجد هذه الرابطة أو تكون واهية .

إطلاقات الوحى الشرعى :

يطلق الوحى فى الشرع ويراد به المعنى المصدرى ، والمعنى الحاصل بالمصدر ، أى على المصدر وعلى متعلقه ، وهو ماوقع به الوحى أى اسم المفعول .

وبعبارة أخرى : فإن اللفظ يطلق على عملية نزول الوحى وعلى الموحى به ، فتطلق كلمة الوحى ويراد بها جبريل وما ينزل به جبريل ، والقرآن وحى : موحى به ، والسنة وحى كذلك ، وهناك الفروق بين الوحيين . (١)

وخير تعريف للوحى الشرعى هو أنه " إعلام الله تعالى لأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم بما يريد إبلاغه لهم من شرع أو كتاب بالكيفية التى يريدها سبحانه . (٢)

---

(١) من قضايا الوحى والتنزيل فى القرآن الكريم للدكتور / عبد الفتاح إبراهيم عبد الرحمن سلامه ص ٣٠ طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا .

(٢) الوحى المحمدى للشيخ رشيد رضا ص ٨ طبعة الزهراء للإعلام العربى ، ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ١٤٨ ، ١٤٩ طبعة الهلال ، والظاهرة القرآنية للأستاذ مالك بنى نبى ص ١١٩ ، ١٢٠ ، طبعة العروبة ١٩٥٨ م ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم للشيخ أبى شهبة ص ٧٤ طبعة الأزهر ١٩٥٨ م ، ولمحات فى علوم القرآن للدكتور محمد بن لطفى الصباغ ص ٤٥ المكتب الإسلامى .

اعتراض الشيخ محمد عبده على هذا التعريف :

وقد اعترض الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد على هذا التعريف فقال : " وقد عرفوه شرعاً : (أنه إعلام الله تعالى لنبى من أنبيائه بحكم شرعى ونحوه) وأما نحن فنعرفه على شرطنا (أنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يمثل لسمعه أو بغير صوت . ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور) . [١]

الموافقون للشيخ محمد عبده :

وقد تابعه تلميذه رشيد رضا ونقل هذا الرأى دون تعقيب عليه فى كتابه الوحى المحمدى [٢] وتناقل هذا التعريف نقلاً عن " الوحى المحمدى " علماء آخرون معاصرون فذكروه فى مؤلفاتهم ومنهم مناع القطان فى كتابه " مباحث فى علوم القرآن " . [٣]

المعارضون لهذا التعريف :

ولقد نقل الأستاذ مالك بن نبى المفكر الجزائرى فى كتابه " الظاهرة القرآنية " هذا التعريف عن الوحى وتعقبه بقوله " ولقد بقى فى هذا التعريف الذى أسهب الأستاذ الإمام فى تحديده بعض الغموض فيما يتصل بتفسير اليقين عند النبى ﷺ . والواقع أننا فى الحالة التى لا يكون الوحى منها منتقلاً بطريقة محسة – مسموعة أو مرئية – سنقع فى تعريف الوحى تعريفاً ذاتياً محضاً ، إذ إن النبى ﷺ فى التحليل الأخير لا يدرى بصفة موضوعية كيف جاءته المعرفة

---

(١) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) الوحى المحمدى لرشيد رضا ص ٨ .

(٣) مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ص ٣٣ طبعة مؤسسة الرسالة .

وهو يجدها فى نفسه مع تيقنه بأنها من عند الله ، إن فى ذلك تناقضاً واضحاً يخلع على ظاهرة الوحى كل خصائص المكاشفة ، ولكن هذه المكاشفة كما يجب أن نكرر - لا تنتج يقيناً مؤسساً على إدراك - ذلك الذى يبدو أنه اليقين المقصود فى الآيات التى ورد فيها ذكر الوحى ، والتى تتصل بخاصة بإعداد محمد ﷺ الشخصى لفهم طبيعة الظاهرة القرآنية " . (١)

وقد أضاف الدكتور عبد الفتاح سلامه بعض المآخذ على تعريف الشيخ محمد عبده بالإضافة إلى ما أخذه الجزائرى وغيرهما ومنها :

١ - أن الشيخ رحمه الله ساق تعريفاً غير موضوعى باسم الموضوعية .

٢ - ساق تعريفاً لا تشهد له نصوص القرآن والسنة ولا وقائع الوحى.

٣ - أن هناك فرق كبير بين " إعلام الله لنبى من أنبيائه " وبين أن يكون الوحى عرفاناً يجده الشخص من نفسه مع اليقين أنه من قبل الله . وفى هذا التعريف الأخير إيهام وغموض ، وفقدان للاتساق بين أوله وآخره .

٤ - أن استعمال كلمة (الشخصى) من الشيخ ليست فى موضعها لأن النبى ﷺ ليس كأى شخص .

٥ - أن الشيخ وصف الوحى بأنه وجدان تستيقنه النفس ولا يقين فى الإلهام ، كما أنه قد يلتبس على الإنسان بوساوس الشيطان .

٦ - شبه الشيخ وجدان الإلهام بغرائز الجوع والعطش والحزن والسرور وشتان بين الإلهام والغرائز .

---

(١) انظر الظاهرة القرآنية لمالك ، أنبن نبى الرحمة د . عبد الصفور شاهين ص ١٢٠ .

ثالثاً: الوحى فى بيان القرآن الكريم

وردت كلمة " الوحى " واشتقاقاتها فى تسعة وسبعين موضعاً من القرآن الكريم . ومن أجمع الآيات الكريمة الواردة حول أنواع الوحى الشرعى قول الله سبحانه : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [1] .

كلمة الوحى واستعمالاتها فى القرآن الكريم :

ومن آيات الوحى الواردة فى القرآن الكريم نستطيع أن نحدد استعمالات القرآن لهذا اللفظ فنجده استعمله فيما يلى :

١ – الوحى إلى رسول الله ﷺ .

٢ – الوحى إلى النبيين أجمعين .

٣ – الوحى الإشارى .

٤ – الوحى قبل النبوة .

٥ – الوحى إلى أمهات بعض الأنبياء .

٦ – الوحى إلى الملائكة .

٧ – معنى الوحى إلى الحواريين .

٨ – الوحى التسخيرى للأحياء .

٩ – الوحى التسخيرى للجمادات .

---

(١) سورة الشورى : آية ٥١ .

١٠ - وحى الشياطين إلى أوليائهم .

وفيما يلى تفصيل لما سبق :

(١) الوحى إلى رسول الله ﷺ :

ذكر الوحى إلى الرسول محمد ﷺ فى آيات عدة منها :

** قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ .. ﴾ (١) .

** وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ... ﴾ (٢) .

** وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ... ﴾ (٣) .

** وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ... ﴾ (٤) .

** وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ... ﴾ (٥) .

** وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ... ﴾ (٦)

---

(١) سورة النساء : آية ١٦٣ .

(٢) سورة يوسف : آية ٣ .

(٣) سورة الرعد : آية ٣٠ .

(٤) سورة النحل : آية ١٢٣ .

(٥) سورة الإسراء : آية ٧٣ .

(٦) سورة الإسراء : آية ٨٦ .

** وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ... ﴾ (١) .

** وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا... ﴾ (٢) .

** وقوله تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ... ﴾ (٣) .

** وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَا ... ﴾ (٤). على غير ذلك من الآيات .

(٢) الوحى إلى النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين :

تحدث القرآن الكريم عن الوحى إلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فدين الله واحد ، وقضية الوحى واحدة ، ورسل الله جميعا جاءوا برسالة واحدة . قال سبحانه رب العزة : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا

---

(١) سورة فاطر : آية ٣١ .

(٢) سورة الشورى : آية ٧ .

(٣) سورة الشورى : آية ١٣ .

(٤) سورة الشورى : آية ٥٢ .

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [١] .

فهذه الآيات الكريمة تحدثت عن وحدة الوحى ، وأن رسول الله ﷺ ليس بدعاً فى الوحى إليه ولا فيما أوحى إليه . وذكرت عدداً من الرسل الأكرمين من أول نوح باعتباره أبا البشر الثانى بعد آدم عليه السلام وأول أولى العزم من المرسلين ، وأول نبى أوحى إليه برسالة من النبيين وقد كان آدم عليه السلام نبياً مكلماً ، وبينت الآيات الغاية من الوحى ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [٢] .

ويؤكد القرآن الكريم معنى هذه الوحدة الرسالية فى قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [٣] . وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [٤] . فالله سبحانه يقطع المعذرة وسبيلها على الممترين فى أمر الوحى من مشركى قريش وغيرهم ويسوق لهم الدليل بما سبق من الرسالات ويأمرهم بسؤال

---

(١) سورة النساء : الآيات من ١٦٣ : ١٦٥ .

(٢) سورة النساء : آية ١٦٥ .

(٣) سورة يوسف : آية ١٠٩ .

(٤) سورة النحل : الآيات ٤٣ ، ٤٤ .

أهل العلم من أهل الكتاب الذين لم يزغ الشيطان قلوبهم ، ويتبع الحديث عن إرسال المرسلين صلوات الله عليهم بالبينات والزبر بذكر بينة القرآن وإنزال الذكر بيانا للناس كافة ، ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (١) . وليستقر فى أذهان البشر ويرسخ فى أعماقهم أن توحيد الله ﷻ هو ركن الوحى الركين وأساسه المتين . يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٢) .

(٣) الوحى الإشارى :

وتأتى كلمة الوحى بمعنى الإشارة لغة كما تقدم ومثال ذلك ما ورد فى قوله سبحانه عن زكريا عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ (٣) . فهو عليه السلام خرج من المحراب لا يكلم أحداً وهو سوى من كل آفة تمنعه من الكلام فأومأ إليهم آمراً إياهم بتسبيح الله ، وقيل : كتب لهم (٤) وذلك كما ورد فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٧ .

(٢) سورة الزمر : الآيات ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) سورة مريم : الآيات ١٠ ، ١١ .

(٤) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبى سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوى ص ٢٩٩ طبعة البهية المصرية .

﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ (١) . وفى تفسير هذه الآية يقول الإمام الشوكانى : " أى علامتك أن تحبس لسانك عن تكليم الناس ثلاثة أيام لا عن غيره من الأذكار " . (٢)

ويقول الإمام البيضاوى : " أى لا تقدر على تكليم الناس ثلاثاً وإنما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك أن يُحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال " . (٣)

(٤) الوحى إلى بعض الأنبياء قبل النبوة :

وذلك لأن الله تبارك وتعالى يُعِدُّ أنبياءه لرسالته فيحفظ لهم فطرتهم حتى يحين الوقت الذى يفيض فيه أنوار وحيه على قلوبهم ، فهو سبحانه يرعاهم من حيث لا يشعرون أو من حيث يشعرون حتى يتم رسالته ويبلغ الكتاب أجله . " من ذلك ما كان من لطفه سبحانه وتعالى بيوسف وقد اجتمعت عليه صبياً المحن وتظاهرت عليه الخطوب ، فهو ممتحن بإخوة تسعرت نيران الأحقاد وطغت على جوارحهم فكادوا له كيداً لئيماً ووضعته المؤامرة فى غيابة جب ، وأبدلته من حنان الأخوة وزلفى المودة ، غدر الأولياء وانفصام الإخاء ، وتركوه بين مخافات مهلكة ، وفزع بئيس وهنا يهبط الفيض وتتنزل السكينة " (٤) ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى

---

(١) سورة آل عمران : آية ٤١ .
(٢) تفسير فتح القدير لمحمد بن على بن محمد الشوكانى ج١ ص ٥١٠ طبعة دار الفكر .
(٣) تفسير البيضاوى ص ٦٨ .
(٤) من قضايا الوحى والتنزيل للدكتور / عبد الفتاح سلامه ص ١٥ .

غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [١] فلقد كان الوحى قبل نبوته بيقين كما فى قوله تعالى بعد ذلك ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٢] .

ولقد نص غير واحد من المفسرين على أن هذا الوحى ، كان فى طفولته ، وكادت أن تتفق عبارة ثلاثة منهم على ذلك وهم الزمخشرى وأبو السعود والبيضاوى ، فقد قالوا : " وأوحينا إليه عند ذلك تبشيراً له بما يؤول إليه أمره وإزالة لوحشته وإيناساً له ، قيل : كان ذلك قبل إدراكه ، كما أوحى إلى يحيى وعيسى ، وقيل : كان إذ ذاك مدركاً ، قال الحسن - ﷺ - كان له سبع عشرة سنة " . [٣]

وذهب البيضاوى إلى أن وسيلة الوحى كان جبريل عليه السلام ونحن لا نقطع بذلك ، بل نقف عند نص القرآن الكريم ، وكذلك عيسى عليه السلام أوحى إليه وكلم الناس فى المهد صبياً ، وكان ذلك قبل أن يؤمر بالنهوض بأعباء الرسالة تكليفاً وتشريفاً كما ورد فى قوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [٤] .

---

(١) سورة يوسف : آية ١٥ .

(٢) سورة يوسف : آية ٢٢ .

(٣) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لأبى القاسم محمود ابن عمر الزمخشرى ج٢ ص ١٢٦ طبعة الحلبى . وتفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود محمد بن محمد العماوى ج٣ ص ٥٧ طبعة صبيح بالقاهرة ، وتفسير البيضاوى ص ٢٣٤ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٤٦ .

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [١] .

فقوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ .

قال الزمخشرى : " الحكم : الحكمة . . وهو الفهم للتوراة ، وقيل : العقل : وقيل : النبوة لأن الله أحكم عقله فى صباه وأوحى إليه " [٢] .

وقال البيضاوى : " وقبل النبوة أحكم الله عقله فى صباه واستنبأه " [٣] – أى جعله نبياً – واختار الجلال المحلى تفسير " الحكم " بالنبوة . وقال : صبياً : ابن ثلاث سنين " [٤] .

وقال الشوكانى : " حكم لى بإيتائى الكتاب والنبوة فى الأزل ، وإن لم يكن قد نزل عليه فى تلك الحال ولا قد صار نبياً " . [٥] وهذا الرأى هو ما أميل إليه .

(٥) الوحى إلى أمهات بعض الأنبياء :

وقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى أمهات بعض أنبيائه لأمور تتعلق بولادة هؤلاء الأنبياء أو بالحفاظ على حياتهم ، وسكناً وربطاً على قلوب

---

(١) سورة مريم : الآيات ٢٩ : ٣٣ .

(٢) تفسير الزمخشرى ج٢ ص ٢٧٥ .

(٣) تفسير البيضاوى ص ٢٩٩ .

(٤) تفسير القرآن الكريم لجلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ص ٢٨١ طبعة دار القلم ١٩٦٦ م .

(٥) تفسير الشوكانى ج٣ ص ٣٣٥ .

الأمهات ، وأشهر هذه الإيحاءات وحى الله لأم موسى عليه السلام . قال العليم الخبير : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾ (١) .

فهذه الآية الكريمة التى جمعت لأم موسى أمرين " أرضعيه – ألقيه " ونهيين " لا تخافى ولا تحزنى " وخبرين فيهما بشارتين " إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين " فكيف بأم تخشى على وليدها من هلاك فرعون تلقيه فى نهر جار ؟ من المؤكد ومما لاشك فيه أن وحيا تمكن من قلبها طمأنها لذلك .

يقول ابن كثير : " فلما ضاقت به ذرعاً ألهمت فى سرها وألقى فى خلدها ونفث فى روعها . . (٢)

ويقول أبو السعود : " وأوحينا إلى أم موسى " بإلهام أو رؤيا (٣) .

أما الزمخشرى فيقول : " وأومنت بالوحى إليها وُوعدت ما يسليها ويملأها غبطة وسروراً . . فلما ألح فرعون فى طلب الوِلْدان أوحى الله إليها فألقته فى اليم " (٤) .

وذهب البيضاوى وجلال الدين المحلى إلى ما ذهب إليه ابن مسعود وهو أنه كان وحى إلهام أو منام . (٥)

---

(١) سورة القصص : آية ٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقى ج٣ ص ٣٨٠ طبعة دار إحياء الكتب العربية .

(٣) تفسير أبو السعود ج٤ ص ١٤٧ .

(٤) تفسير الزمخشرى ج٢ ص ٤٦٦ .

(٥) تفسير اللبيضاوى ص ٣٧٥ . وتفسير الجلالين ص ٣٥٨ .

أما القرطبى فيفصل الأقوال فى المسألة حيث يقول : " واختُلف فى هذا الوحى إلى أم موسى ، فقالت فرقة : كان قولاً فى منامها . وقال قتادة : كان إلهاماً ، وقالت فرقة : كان بملك تمثل لها . وقال مقاتل : أتاها جبريل بذلك ، فعلى هذا هو وحى إعلام لا إلهام ، وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية " [١] . واحتج القرطبى برويات صحيحة عن تكليم الملائكة لبعض الناس من غير نبوة .

ونقل ابن منظور فى لسان العرب من الأقوال ماهو جدير بأن يذكر " قال الأزهرى . . وقال الله ﷻ : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ الوحى ها هنا إلقاء الله فى قلبها قال : وما بعد هذا يدل والله أعلم على أنه وحى من الله على جهة الإعلام للضمان لها ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وقيل : إن معنى الوحى ها هنا الإلهام ، وجائز أن يلقى الله فى قلبها أنه مردود إليها وأنه يكون مرسلاً ولكن الإعلام أبين فى معنى الوحى ها هنا . [٢]

ويرجح أنه وحى إعلام قوله عز من قائل : ﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ فهذا خبر تمكن من قلب وعقل أم موسى وليس مجرد شعور أو تنبؤ أو ظن .

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ج ١٣ ص ٢٥٠ ، طبعة دار الكاتب العربى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

(٢) انظر لسان العرب ج٢٠ ص ٢٥٨ .

ومن الأمهات اللائى أوحى الله إليهن بوحيه المبارك مريم عليها وعلى ابنها السلام فقد قال تعالى فى سورة حملت إسمها ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٢) .

فهذه آيات صريحة فى الوحى إلى مريم عليها السلام ، وفى رسالة جبريل عليه السلام إليها وبشارة الملائكة لها .

وإنه لمن الواضح أن الوحى إلى السيدة مريم عليها وعلى ابنها سلام وكذلك أم موسى ، لم يكن إلا من جميل عناية الله وعظيم رعايته بولديهما الكريمين ثم بهما بالتبعية وليس العكس صحيحاً .

(٦) الوحى إلى الملائكة :

أما وحى الله إلى الملأ الأعلى من الملائكة فأمر بيِّن بديهى ، فأمين وحى السماء إلى الأرض وهو جبريل عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة مريم : الآيات ١٦ : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٤٥ .

(٣) سورة النجم : آية ١٠ .

أى فأوحى الله سبحانه إلى عبده جبريل ما أوحاه جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ .

ويقول العلى القدير : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ (١) .

يقول الشوكانى : " الروح : الوحى ، ومثله : ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ (٢) وسمى الوحى روحاً لأنه يحيى قلوب المؤمنين . فإن من جملة الوحى : القرآن ، وهو نازل من الدين منزلة الروح من الجسد . وقيل : المراد : أرواح الخلائق . وقيل : الروح : الرحمة . وقيل : الهداية ، لأنها تحيا بها القلوب ، كما تحيا الأبدان بالأرواح . قال الزجاج : الروح ما كان فيه من الله حياة بالإرشاد إلى أمره . وقال أبو عبيد : الروح هنا جبريل " . (٣)

ويقول سبحانه أيضا عن وحيه إلى الملائكة : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٤).

ويقول سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة النحل : آية ٢ .

(٢) سورة غافر : آية ١٥ .

(٣) تفسير فتح القدير ج٣ ص ١٥١ .

(٤) سورة النحل : آية ١٠٢ .

(٥) سورة الشعراء : الآيات ١٩٢ : ١٩٥ .

وجبريل عليه السلام لا ينزل بالوحى إلا إذا كان مُوحَى إليه به من عند الله سبحانه بداهة وقطعاً ، وكذلك الملائكة جميعاً لذا يقول تعالى عن وحيه إلى الملائكة فى بدر : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [١] .

(٧) معنى الوحى إلى الحواريين :

يقول عز من قائل : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [٢] . فليس الوحى وحياً مباشراً إلى الحواريين وإنما هو وحى إليهم عن طريق رسولهم عيسى عليه السلام والمعنى أمرتهم فيما أوحيت إلى عبدى عيسى عليه السلام أن يؤمنوا ويصدقوا بأن عيسى رسول من عندى ، وفى عبارة الزمخشرى ، أمرتهم على ألسنة الرسل . وقد نقلها عنه غيره . [٣]

أما ابن كثير فقال : " ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ﴾ ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أى ألهموا ذلك فامتثلوا ما أُلهموا .

وقال السدى : قذف فى قلوبهم ذلك ، ويحتمل أن يكون المراد وإذ أوحيت إليهم بواسطتك فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله فاستجابوا لك وانقادوا وتابعوك فقالوا : ﴿ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

---

(١) سورة الأنفال : آية ١٢ .

(٢) سورة المائدة : آية ١١١ .

(٣) انظر تفسير الكشاف ج١ ص ٤٩٠ ، والبيضاوى ص ١٣٦ .

(٨) الوحى الإلهامى التسخيرى إلى الكائنات الحية :

أودع سبحانه فى فطرة النحل غرائز ومواهب وملكات ، كما أودع فى كل ما خلق ومن ذلك إلهام البهائم لفعل ما ينفعها ، وترك ما يضرها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ [١] فوحى الله تعالى إلى النحل وتسخيرها لتكون نعمة من نعم الله وآية من آياته أمر جليّ فى نظام حياتها وعطائها .

يقول ابن كثير : " المراد بالوحى هنا الإلهام والهداية والإرشاد للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتاً تأوى إليها ومن الشجر " [٢] .

ويقول الزمخشرى : " الإيحاء إلى النحل إلهامها ، والقذف فى قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه وإلا فنيقتها [٣] فى صنعها ولطفها فى تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علماً بذلك وفطنها كما أولى أُولى العقول عقولهم". [٤]

(٩) الوحى التسخيرى للجمادات :

أما عن تسخير الجمادات بالوحى فيقول عنه عز من قائل : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا

---

(١) سورة النحل : آية ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٥٧٥ .

(٣) نيقتها : النيقة بالكسر من تنيق فى مطعمه وملبسه إذا تجود وبالغ فيه . انظر القاموس المحيط ج٣ ص ٢٩٧ .

(٤) تفسير الكشاف ج٢ ص ٢٠٩ .

طَآئِعِينَ ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا ﴾ [١] .

يقول البيضاوى عند قوله سبحانه : ﴿ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا ﴾ أى شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختيارا أو طبعا " [٢] وقد ذهب إلى هذا التفسير الكثير من العلماء . وفى التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن .

يقول الأستاذ حنفى أحمد فى قوله : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ ﴾ قال : " لم يقل سبحانه وهى سحاب أو بخار مثلا فيكون فى تخصيص تشبيهها بالدخان إشارة قوية محددة إلى أهل العلم يستدلون بها على خصائص هذه المادة وهى أنها كانت مثل الدخان . . مادة مفككة وخفيفة ومنتشرة فى الفضاء كانتشار الدخان أو الغاز أو السحاب ، وأنها كانت مظلمة وساخنة إلى حد ما ، وأنها كانت تحوى رقائق أنواع المادة المختلفة ثم أصدر سبحانه أمره إلى السماء والأرض بأن تكونا وتحصلا على حسب مراده طوعاً أو كرهاً منهما فكانتا وحصلتا كما أراد ، ثم أوجد سبحانه وسخر فى كل سماء كائناتها من النيران وغيرها . [٣]

وأيضا يذكر القرآن الكريم وحى الله سبحانه إلى الأرض فيقول : ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝ ﴾ [٤] .

فالمتبادر من المعنى أنها تحدث أخبارها لأن الله أوحى لها أى : أمرها وأذن لها بأن تحدث ، ويفصل الزمخشرى القول فيقول : " معناه :

---

(١) سورة فصلت : الآيات ١١ ، ١٢ .

(٢) تفسير البيضاوى ص ٤٥٨ .

(٣) التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن لحنفى أحمد ص ٤٢ ، ٢٠٤ بتصرف طبعة دار المعارف .

(٤) سورة الزلزلة : الآيات ٤ ، ٥ .

تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها ، وأمره إياها بالتحديث ويجوز أن يكون المعنى : يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها ، على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها ، ويجوز أن يكون " بأن ربك " بدلاً من " أخبارها " ، كأنه قيل : تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لأنك تقول حدثته كذا وبكذا ، و " أوحى لها " بمعنى: إليها، وهو مجاز كقوله سبحانه: ﴿ أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [١] " [٢] .

(١٠) وحى الشياطين إلى أوليائهم :

يقول الشوكانى : " (يوحى بعضهم إلى بعض) فى محل نصب على الحال ، أى حال كونه يوسوس بعضهم لبعض .

وقيل : إن الجملة مستأنفة لبيان حال العدو ، وسمى وحياً ، لأنه إنما يكون خفية بينهم " . [٣]

ومما يؤكد ذلك المعنى ويثبت أن الشياطين يوسوسون بالوساوس المخالفة للحق ، والمباينة للصواب قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [٤] .

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة يس : آية ٨٢ .
(٢) تفسير الزمخشرى ج٢ ص ٣٥٢ .
(٣) تفسير فتح القدير ج٢ ص ١٥٩ .
(٤) سورة الأنعام : آية ١٢١ .

المبحث الثانى

صور الوحى وكيفياته

صور الوحى وكيفياته

ذكر القرآن الكريم للوحى صوراً وكيفيات اجتمعت كلها فى قوله تعالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝ ﴾ (١) .

فصور الوحى إذاً ثلاث :

١ - وحياً .

٢ - من وراء حجاب .

٣ - بإرسال رسول .

أولاً : الوحى : ويكون بكيفيتين :

أحدهما : النفث فى الروع :

والروع : بضم الراء هو القلب ، ومعنى النفث فى الروع إلقاء المعنى المراد فى القلب ، والروع بالفتح : الفزع ، والروعة : الفزعة ، والروع : بالضم القلب والعقل ، يقال : وقع ذلك فى روعى أى فى خلدى وبالى . (٢)

والنفث فى الروع جاء فى حديث النبى ﷺ : " أن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، خذوا ما حل ودعوا ما حرم " . (٣)

---

(١) سورة الشورى : آية ٥١ .

(٢) مختار الصحاح ص ٢٨٢ .

(٣) صحيح ابن حبان رقم ١٠٨٤ ، والمستدرك للحاكم ٢ / ٤ ، وفتح البارى ١ / ٢٠ .

وهذا الإلقاء فى القلب يكون من الله ﷻ أو من جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ مع اليقين القاطع بأن هذا من لدن الله سبحانه .

ثانيهما : الرؤيا الصادقة :

وقد كانت الرؤيا الصادقة أول بدء الوحى فقد جاء فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : " أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء . وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع - أى يرجع - إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : " ما أنا بقارئ " ، قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ﴾ [1] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة فقال : " زملونى زملونى " . . . الحديث. [2]

ومما يدل على أن الرؤية الصالحة للأنبياء فى المنام وحى يجب اتباعه : ماجاء فى قصة إبراهيم عليه السلام من رؤيا ذبحه لولده إسماعيل ، قال

---

(١) سورة العلق : الآيات ١ : ٣ .

(٢) صحيح البخارى ١ / ٣ ، وصحيح مسلم ١ / ٩٧ ، والترمذى ٤ / ٣٠١ ، وسنن النسائى والمسند ٦ / ١٥٣ ، ٢٣٢ ، وانظر شرح الحديث فى فتح البارى ١ / ٢٢ ، وانظر اللؤلؤ والمرجان ١ / ٣٢ .

تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [1] . ولو لم تكن هذه الرؤيا وحيا يجب اتباعه لما أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده لولا أن مَنَّ الله عليه بالفداء .

والرؤيا الصادقة أو الصالحة كما قال ﷺ هى جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة .

وذهب بعض العلماء فى تعليل هذه النسبة مذهباً يحسن ذكره ، وهو أن فترة الرؤيا الصادقة التى بُدئ بها رسول الله ﷺ كانت ستة أشهر ، كان الوحى فيها بالرؤيا الصالحة ، وأن مدة مرحلتى المكية والمدنية هى ثلاثة وعشرون عاماً ، فتكون نسبة الأشهر الستة إليها هى نسبة جزء من ستة وأربعين جزءاً ، وبعد هذه الفترة الأولى من الوحى أوحى إلى الرسول بمجئ الملك جبريل عليه السلام وبالرؤى الصادقة أيضا [2] ، ومنها رؤاه صلوات الله عليه وسلامه وهو يدخل المسجد الحرام كما قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ

---

(١) سورة الصافات : الآيات ١٠١ : ١١٢ .

(٢) من قضايا الوحى والتنزيل ص ٣٣ .

رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (١) .

والرؤيا الصالحة ليست خاصة بالرسول ﷺ وإنما هى باقية للمؤمنين ، وإن لم تكن وحياً كما قال عليه الصلاة والسلام : " انقطع الوحى وبقيت المبشرات ، رؤيا المؤمن " .

ثانياً : من وراء حجاب :

وهو ثابت لموسى عليه السلام حيث كلمه رب العالمين من وراء الشجرة كما نص على ذلك القرآن : ﴿ فَلَمَّا أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (٣) .

وأكد سبحانه كلامه لموسى بقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الفتح : آية ٢٧ .

(٢) سورة القصص : آية ٣٠ .

(٣) سورة الأعراف : الآيات ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٤) سورة النساء : آية ١٦٤ .

وورد النص أكثر عموماً فى قوله سبحانه : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ (١) .

وقد كلم الله سبحانه رسوله ﷺ ليلة الإسراء وفرض عليه وعلى أمته الصلاة وهذا من المتفق على صحته . (٢)

ثالثاً : بإرسال رسول :

وهو المذكور فى قوله سبحانه : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ (٣) **ويكون على ثلاث كيفيات :**

الكيفية الأولى : فى صورة بشرية :

وفى صورة رجل من العرب يسمى " دحية الكلبى " كان يأتى جبريل عليه السلام للرسول ﷺ فيعلم يقيناً أنه جبريل ، ويراه الصحابة الحاضرون مجلس الرسول ﷺ ويسمعون قوله ولا يعرفون حقيقته ، كما فى حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبى ﷺ عن الإيمان والإحسان وعن الساعة . (٤)

وقد وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه هيئة جبريل التى جاء إلى الرسول ﷺ عليها فقال : " بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه . .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٢ .

(٢) انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، البخارى ومسلم ج١ ص ٣٩ ، ٤٢ .

(٣) سورة الشورى : آية ٥١ .

(٤) انظر البخارى ج١ ص ١٩ ، ٢٠ كتاب الإيمان وانظر اللؤلؤ والمرجان ج١ ص ٢ .

وفى أخر الحديث قال رسول الله ﷺ لعمر أتدرى من السائل ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " . (١)

وقد وصف رسول الله ﷺ هذه الحالة الإنسية للملك حين سأله الحارث ابن هشام ﷺ : " كيف يأتيك الوحى يا رسول الله ؟ ، فقال : . . . وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول . . . " (٢) .

وقد ذكر لنا القرآن الكريم فى قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أن الملائكة كانت تتمثل لهم فى صور البشر فإبراهيم عليه السلام يظن أن ضيفه من الملائكة بشراً ويقدم لهم طعاماً ويتوجس منهم خوفاً حين لم يقربوا الطعام كما قال سبحانه : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٣) .

ولوط عليه السلام لا يعرف الملائكة المرسلين إليه لأنهم على صورة بشر لا يعرفهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٤) .

والسيدة مريم عليها وعلى ابنها السلام يتمثل لها جبريل بشراً قال

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج١ ص ١٥٧ ، ١٦٠ .

(٢) انظر صحيح البخارى ج١ ص ٣ .

(٣) سورة الذاريات : الآيات ٢٤ : ٢٨ .

(٤) سورة هود : آية ٧٧ .

سبحانه : ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ [١] .

الكيفية الثانية : فى صورته الملائكية :

وفى هذه الصورة يكون جبريل عليه السلام على صورته الأصلية وهيئته الحقيقية الملائكية التى برأه الله عليها ، ولم يأت جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ على هذه الحالة إلا مرتين هما المشار إليهما على الأرجح فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [٢] .

وقد قالت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها تعالى عنها : " ولكنه رأى – أى رسول الله ﷺ – جبريل عليه السلام فى صورته مرتين . وكانت المرة الأولى فى بداية الوحى بعد حراء " [٣] . وقد حدث عنها رسول الله ﷺ بقوله : " بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه " ، وفى رواية لمسلم : " فجئثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض " ، وفى رواية أخرى لمسلم : " فأخذتنى رجفة شديدة " ثم قال ﷺ : " فرجعت إلى خديجة فقلت زملونى فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر . .) ، فقوله ﷺ فرعبت منه يفيد أنه رآه على صورته الحقيقية وهى صورة لفرط عظمتها تبعث على الروع . [٤]

أما الرؤية الثانية فكانت ليلة الإسراء والمعراج ، ويروى عنها عبد

---

(١) سورة مريم : آية ١٧ .

(٢) سورة النجم : الآيات ١٣ : ١٥ .

(٣) انظر صحيح البخارى ج٦ ص ١٧٦ .

(٤) انظر صحيح البخارى ج١ ص ٤ ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ج٢ ص ٢٠٦ : ٢٠٨ .

الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ " رأى جبريل له ستمائة جناح " . (١)

وقد ذكر ابن مسروق ﷺ هاتين الكيفيتين فى حديثه مع عائشة قال : " كنت متكئاً عند عائشة ، فقالت : يا أبا عائشة (وهى كنية مسروق) ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية . قلت ما هن ؟ قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . قال : وكنت متكئاً فجلست ، فقلت : يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى ، ألم يقل الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (٣) . فقالت : أنا أول هذه الأمة من سأل ذلك رسول الله ﷺ فقال : " إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته متهبطاً من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض " . وقالت : أو لم تسمع أن الله ﷻ يقول ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٤) أو لم تسمع أن الله ﷻ يقول : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ (٥) . قالت : ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية ، والله تعالى يقول : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (٦) . قالت : ومن زعم أنه يخبرها بما يكون فى غد فقد

---

(١) انظر صحيح البخارى ج٦ ص ١٧٦ ، وتفسير ابن كثير ج٤ ص ٨ .
(٢) سورة التكوير : آية ٢٣ .
(٣) سورة النجم : آية ١٣ .
(٤) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .
(٥) سورة الشورى : آية ٥١ .
(٦) سورة المائدة : آية ٦٧ .

أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (١) (٢) .

الكيفية الثالثة : مجئ الملك على حالة غير مرئية :

كان جبريل عليه السلام يأتى رسول الله ﷺ كثيراً بحالته المستترة فلا يراه أحد ، غير أن هناك أمارات كانت تصحب مجئ الملك تدل عليه ، وقد كانت هذه الحالة هى أشد حالات نزول الوحى على الرسول ﷺ ، ويقول ﷺ عن هذه الحالة حينما سأله عنها عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : " هل تحس بالوحى ؟ فقال : " أسمع صلاصل ، ثم أسكت عند ذلك ، فما من مرة يوحى إلىّ إلا ظننت أن نفسى تقبض " . (٣)

قال الخطابى : " والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد . وقيل : هو صوت خفق أجنحة الملك ، والحكمة فى تقدمه أن يفرغ سمعه للوحى ، فلا يبقى فيه مكانا لغيره . وفى الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحى عليه . (٤) وقيل : إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد وتهديد " . (٥)

ويقول مناع القطان : " والصوت القوى يثير عوامل الانتباه فتهيأ النفس بكل قواها لقبول أثره ، فإذا نزل الوحى بهذه الصورة على الرسول

---

(١) سورة النمل : آية ٦٥ .

(٢) صحيح مسلم ١ / ١١٠ وبرقم ١٧٧ فى ط عبد الباقى ، وانظر صحيح البخارى ٦ / ١١٧ .

(٣) مسند أحمد ٢ / ٢٢٢ .

(٤) انظر البخارى : بدء الوحى ، رقم ٢ ومسلم فى الفضائل ، باب : طيب عرق النبى ﷺ فى البرد وحين يأتيه الوحى ن رقم ٢٣٣٣ .

(٥) الإتقان فى علوم القرآن ج١ ص ١٤٢ .

ﷺ نزل عليه وهو مستجمع القوى الإدراكية لتلقيه وحفظه وفهمه وقد يكون هذا الصوت حفيف أجنحة الملائكة ، وقد يكون صوت الملك نفسه فى أول سماع الرسول له . والهيئة التى يظهر فيها جبريل بصورة رجل لا يتحتم فيها أن يتجرد من روحانيته ، ولا يعنى أن ذاته انقلبت رجلاً . بل المراد أنه يظهر بتلك الصورة البشرية أنساً للرسول البشرى ، وهى تحتاج إلى سمو روحى من رسول الله يتناسب مع روحانية الملك فكانت أشد الحالات عليه " . (١)

يقول الدكتور دراز رحمه الله : " وكان أمر هذه الظاهرة لا يخفى على أحد ممن ينظرون إليه . فكانوا – كما تروى الأحاديث الصحيحة ذلك – يرونه قد أحمرَّ وجهه فجأة وأخذته البُرَحاء (٢) حتى يتفصد جبينه عرقاً فى اليوم البارد ، ويثقل جسمه حتى يكاد يرض فخذه فخذ الجالس إلى جانبه (٣) وحتى لو كان راكباً لبركت به راحلته ، وكانوا مع ذلك يسمعون عند وجهه أصواتاً مختلفة تشبه دوى النحل . . ثم لا يلبث أن تسرى عنه تلك الشدة فإذا هو يتلو قرآنا جديداً وذكراً محدثاً . . ثم يتحدث عن سر هذه الظاهرة قائلاً : وكذلك فليؤمنوا بأن نور هذا القمر النبوى إنما كان شعاعاً منعكساً من ضوء تلك الشمس التى يرون آثارها وإن كانوا لا يرونها . نعم إنهم لم يروها بأعينهم طالعة فوق رابعة النهار ، ولم يسمعوا صوتها بآذانهم جرساً مفهوماً وكلاماً يفقهه الناس ، ولكنهم كانوا يرون قبساً منها فى الجبين ،

---

(١) مباحث فى علوم القرآن ص ٣٩ باختصار .

(٢) برحاء الحمى : شدة أذاها .

(٣) صحيح البخارى ٦ / ٤٠ فى تفسير سورة النساء فى نزول قوله تعالى : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) . وانظر فتح البارى ١ / ٤٧٩ ، وأبو داود ٣ / ١٧ ، والترمذى ٤ / ٩٢ ، والنسائى ٦ / ٩ . وانظر معالم السنن للخطابى ٣ / ٣٦٨ .

وكانوا يسمعون حسيسها حول الوجه الكريم . وإن فى ذلك لهدى للمهتدين " (١) .

ويقول ابن خلدون فى مقدمته : " توجد لهم " للأنبياء " فى حال الوحى غيبة عن الحاضرين معهم مع غطيط كأنها غشى أو إغماء فى رأى العين وليست منها فى شئ ، وإنما هى فى الحقيقة استغراق فى لقاء الملك الروحانى بإدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية . . . " (٢) .

(١) انظر النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٦٢ طبعة العروبة بالقاهرة ١٩٦٠ م .

(٢) مقدمة ابن خلدون للفكر الاجتماعى للمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون ص ٧٣ طبعة التقدم .

المبحث الثالث

فتور الوحى وانقطاعه

فتور الوحى وانقطاعه

هذا بحث سكت عنه الكثير من الباحثين فى علوم القرآن ، علـــى أن نسبه إلى مباحث السيرة أقرب منها إلى علوم القرآن ، لكنى أرى أن نسبه إلى مباحث علوم القرآن أولى .

وقد أثبت المفسرون والمحدثون والمؤرخون للسيرة النبوية أن الوحى فتر وانقطع عن النزول فى ثلاثة أوقات سميت بفترة فتور الوحى أو انقطاع الوحى . وهذه الأوقات هى :

١ – بعد نزول فواتح " العلق " حتى نزول فواتح " المدثر " .

٢ – عند وقوع حادثة الإفك .

٣ – قبل نزول قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ [1] ، وأيضا سورة الضحى .

فترة الانقطاع الأولى :

أما عن فترة الانقطاع الأولى والتى كانت بعد نزول فواتح " العلق " حتى نزول فواتح " المدثر " فيدل عليها ما رواه ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : " أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهو التعبد ذوات الليالى العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاء الحق وهو فى غار

---

(١) سورة مريم : آية ٦٤ .

حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [1] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر ، لقد خشيت على نفسى فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل المحروم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى ابن عم أخى أبيها ، وكان أمرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب العبرانى (العربى) ويكتب من الإنجيل بالعبرانية (بالعربية) ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل على موسى عليه السلام ، ياليتنى فيها جذعاً ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى " . [2]

---

(١) سورة العلق : الآيات ١ : ٥ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١ / ٢ ، ٣ مع اختلاف يسير فى اللفظ فى كتابى التفسير وتعبير الرؤيا .

وفى حديث آخر لابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : قال رسول الله ﷺ : " بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه – وفى رواية فجئثت منه فرقا – فرجعت فقلت : زملونى ، زملونى ، فزملونى فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ [١] فحمى الوحى وتتابع [٢] ، وفى رواية لمسلم فجئثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض ، ثم حمى الوحى بعد وتتابع . [٣]

واختلف العلماء فى تحديد أمد فترة الانقطاع هذه اختلافاً كبيراً . . .

فقيل : ثلاثة أعوام .

وقيل : عامان ونصف .

وقيل : ستة أشهر .

وقيل : أربعون يوماً .

وقيل : خمسة عشر يوماً .

وقيل : ثلاثة أيام . [٤]

فترة الانقطاع الثانية :

وقد كان الانقطاع هنا فى قصة الإفك حيث كان رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الغزو مقيماً على المريسيع – وهو ماء فى ناحية بنى المصطلق

---

(١) سورة المدثر : الآيات ١ : ٥ .

(٢) صحيح البخارى ج١ ص ٤ ، ج ٦ ص ٢٠١ .

(٣) صحيح مسلم ج٢ ص ٢٠٥ .

(٤) من قضايا الوحى والتنزيل ص ١٠٦ .

- وفى هذه الغزوة كانت قصة الإفك وملخصها : أن عائشة رضى الله عنها كانت قد خرج بها رسول الله ﷺ معه فى هذه الغزوة بقرعة أصابتها ، وكانت تلك عادته مع نسائه ، فلما رجعوا من الغزوة نزلوا فى بعض المنازل ، فخرجت عائشة لحاجتها ، ففقدت عقداً لأختها كانت أعارتها إياه ، فرجعت تلتمسه فى الموضع الذى فقدته فيه فى وقتها ، فجاء النفر الذين كانوا يُرِّحلون هودجها فظنوها فيه فحملوا الهودج ، ولا ينكرون خفته ، لأنها رضى الله عنها كانت فتية السن لم يغشها اللحم الذى كان يثقلها ، وأيضا فإن النفر لما تساعدوا على حمل الهودج لم ينكروا خفته ، ولو كان الذى حمله واحداً أو اثنين لم يخف عليهما الحال ، فرجعت عائشة إلى منازلهم ، وقد أصابت العقد ، فإذا ليس به داع ولا مجيب ، فقعدت فى المنزل ، وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون فى طلبها ، والله غالب على أمره ، يدبر الأمر فوق عرشه كما يشاء ، فغلبتها عيناها ، فنامت فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المعطل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، زوجة رسول الله ﷺ ؟ وكان صفوان قد عرس فى أخريات الجيش لأنه كان كثير النوم ، فلما رآها عرفها ، وكان يراها قبل نزول الحجاب ، فاسترجع وأناخ راحلته ، فقربها إليها ، فركبتها ، وما كلمها كلمة واحدة ، ولم تسمع منه إلا استرجاعه ، ثم سار بها يقودها ، حتى قدم بها ، وقد نزل الجيش فى نحر الظهيرة ، فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته ، وما يليق به ، ووجد الخبيث عدو الله متنفساً ، فتنفس من كرب النفاق والحسد الذى بين ضلوعه ، فجعل يستحكى الإفك ، ويستوشيه ، ويشيعه ، ويذيعه ، ويجمعه ، ويفرقه ، وكان أصحابه يتقربون به إليه ، فلما قدموا المدينة أفاض أهل الإفك فى الحديث ، ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم ، ثم استشار أصحابه - لما استلبث الوحى طويلاً - فى فراقها ، فأشار عليه علىّ ﷺ أن يفارقها ، ويأخذ غيرها ،

تلويحاً لا تصريحاً ، وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها ، وأن لا يلتفت إلى كلام الأعداء ، فقام على المنبر يستنذر من عبد الله بن أبى ، فأظهر أسيد ابن خضير سيد الأوس رغبته فى قتله ، فأخذت سعد بن عبادة – سيد الخزرج وهى قبيلة ابن أبى – الحمية القبلية ، فجرى بينهما كلام تثاور له الحيَّان ، فخفضهم رسول الله ﷺ حتى سكتوا وسكت .

أما عائشة : فلما رجعت مرضت شهراً ، وهى لا تعلم عن حديث الإفك شيئاً ، سوى أنها كانت لا تعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كانت تعرفه حين تشتكى ، فلما نقهت خرجت مع أم مسطح إلى البراز ليلاً ، فعثرت أم مسطح فى مرطها ، فدعت على ابنها ، فاستنكرت ذلك عائشة منها ، فأخبرتها الخبر ، فرجعت عائشة واستأذنت رسول الله ﷺ ؛ لتأتى أبويها وتستيقن الخبر ، ثم أتتهما بعد الإذن حتى عرفت جلية الأمر ، فجعلت تبكى فبكت ليلتين ويوماً ، لم تكن تكتحل بنوم ، ولا يرقأ لها دمع ، حتى ظنت أن البكاء فاتق كبدها ، وجاء رسول الله ﷺ فى ذلك ، فتشهد وقال : أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغنى كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه .

وحينئذ قلص دمعها ، وقالت لكل من أبويها أن يجيبا، فلم يدريا ما يقولان ، فقالت : والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرفى أنفسكم ، وصدقتم به ، فلئن قلت لكم : إنى بريئة – والله يعلم أنى بريئة – لا تصدقونى بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر – والله يعلم إنى بريئة – لا تصدقونى بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر – والله يعلم إنى منه بريئة – لتصدقنى والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبى يوسف قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ

ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [١] .

ثم تحولت واضطجعت ، ونزل الوحى ساعته فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : يا عائشة ، أما الله فقد برأك ، فقالت لها أمها : قومى إليه . . فقالت عائشة – إدلالاً ببراءة ساحتها ، وثقة بمحبة رسول الله ﷺ : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله .

والذى أنزله الله بشأن الإفك هو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [٢] الآيات العشر .

وجلد من أهل الإفك مسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، جلدوا ثمانين ، ولم يجد الخبيث عبد الله بن أبىّ مع أنه رأس أهل الإفك ، والذى تولى كبره ، إما لأن الحدود تخفيف لأهلها ، وقد وعده الله بالعذاب العظيم فى الآخرة ، وإما للمصلحة التى ترك لأجلها قتله . [٣]

وهكذا وبعد شهر أقشعت سحابة الشك والارتياب والقلق والاضطراب عن جو المدينة ، وافتضح رأس المنافقين افتضاحاً لم يستطع أن يرفع رأسه بعد ذلك ، قال ابن اسحاق : وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه . فقال رسول الله ﷺ لعمر : كيف ترى ياعمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لى اقتله لأرعدت له أنف ، ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم

---

(١) سورة يوسف : آية ١٨ .

(٢) سورة النور : آيات الإفك من ١١ : ٢١ .

(٣) صحيح البخارى ١ / ٣٦٤ ، ٢ / ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ . وزاد المعاد بشمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب المعروف بابن القيم : ٢ / ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ المطبعة المصرية الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ – ١٩٢٨ م .

بركة من أمرى . [١]

فترة الانقطاع الثالثة :

وقد كانت هذه الفترة قبل نزول قوله تعالى فى سورة مريم : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [٢] ، وقبل نزول سورة الضحى .

يقول الإمام البغوى فى تفسيره : " كان هذا الجواب لمحمد ﷺ " . [٣]

أما الأسباب فقد تعددت وهى :

١ – أن النبى ﷺ قال : " يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا " فنزلت وفى رواية " ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا " .

٢ – قال مجاهد أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال : لعلى أبطات ، قال : قد فعلت ، قال : ولم لا أفعل وأنتم لا تتسوكون ، ولا تقصون أظافركم ، ولا تنقون براجمكم ، قال : وما نتنزل إلا بأمر ربك . قال مجاهد : فنزلت هذه الآية .

٣ – قال عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبى احتبس جبريل عليه السلام حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فلم يدر ما يجيبهم ورجا أن يأتيه جبريل عليه السلام بجواب فسألوه فأبطأ عليه فشق على

---

(١) السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى ٢ / ٢٩٣ مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م . والرحيق المختوم للشيخ صفىّ الرحمن المباركفورى ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

(٢) سورة مريم : آية ٦٤ .

(٣) تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى ج٣ ص ٢٠٢ .

رسول الله ﷺ مشقة شديدة فلما نزل جبريل عليه السلام قال له : أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك ، فقال جبريل عليه السلام : إني كنت إليك أشوق ، ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست [١] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ .

أما عن نزول سورة الضحى فيقول الإمام الجوزى فى تفسيره " اتفق المفسرون على أن هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحى مدة " . [٢]

أما عن أسباب انقطاعه فقد تعددت أيضا الأقوال فيها وهى :

١ – عن قيس بن جندب قال : قالت امرأة من قريش للنبى ﷺ : " ما أرى شيطانك إلا ودعك " فنزل : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [٣] . [٤]

٢ – وأخرج الطبرانى وابن أبى شيبة ، عن حفص بن ميسرة ، عن أمها – وكانت خادم رسول الله ﷺ – أن جرواً دخل بيت النبى ﷺ ، فدخل تحت السرير فمات ، فمكث النبى ﷺ اربعة أيام لا ينزل عليه الوحى ، فقال : "

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، دار الكتاب العربى الطبعة السادسة ١٤١٤ هـ ١٤٩٤ م . وأسباب النزول للسيوطى ص ١٧١ طبعة نصير بمصر ١٩٨٣ م .

(٢) تفسير زاد المسير فى علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على ابن محمد الجوزى ج٨ ص ٢٦٦ طبعة دار الفكر ١٩٨٧ م . وتاريخ القرآن للأستاذ ابراهيم الأبيارى ص ٢٠ طبعة دار القلم ١٩٦٥ م . وساعات حرجة فى حياة الرسول للأستاذ عبد الوهاب حموده ص ٢٨ طبعة المكتبة الثقافية .

(٣) سورة الضحى : الآيات ١ : ٣ .

(٤) البخارى : التفسير ، باب تفسير سورة (الضحى) رقم ٤٦٦٧ . ومسلم : الجهاد والسير ، باب : ما لقى النبى ﷺ من أذى المشركين والمنافقين رقم ١٧٩٧ .

يا خولة ، ما حدث فى بيت رسول الله ؟ جبريل لا يأتينى " . فقلت فى نفسى : لو هيأت البيت وكنسته ، فأهويت بالمكنسة تحت السرير ، فأخرجت الجرو ، فجاء النبى ﷺ ترعد لحيته - وكان إذا نزل عليه الوحى أخذته الرعدة - فأنزل الله (والضحى) إلى قوله (فترضى) .

٣ - عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أبطأ جبريل عليه السلام على النبى ﷺ فجزع جزعاً شديداً فقالت خديجة : قد قلاك ربك لما يرى جزعك فأنزل الله تعالى الآيات .

٤ - عن ابن عباس قال : رأى رسول الله ﷺ ما يفتح على أمته من بعده فسر بذلك فأنزل الله ﷻ ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ ﴾ قال : فأعطاه ألف قصر فى الجنة من لؤلؤ ترابه المسك فى كل قصر منها ما ينبغى له قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ ﴾ (١) .

٥ - أخرج بن أبى حاتم من حديث عدى بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : سألت ربى مسألة ؛ وددت أنى لم أكن سألته ، قلت : " أى رب ، اتخذت ابراهيم خليلاً ، وكلمت موسى تكليماً ، فقال : يا محمد ، ألم أجدك يتيماً فآويت ، وضالاً فهديت ، وعائلاً فأغنيت ، وشرحت لك صدرك ، وحططت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معى " . (٢)

---

(١) سورة الضحى : آية ٦ .

(٢) وتتمته : " فقلت : أنت أعلم يارب ، فوضع كفه بين كتفى ن فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السموات والأرض . سنن الدارمى : الرؤيا ، باب : فى رؤية الرب تعالى فى النوم ، رقم ٢١١٠ .

والراجح من هذه الأسباب هو الأول لقول السيوطى : " إن ذكر واحد سبباً وآخر سببا غيره ، فإن كان إسناد أحدهما صحيحاً دون الاخر ، فالصحيح المعتمد " . (١)

وقال ابن حجر فى شرح البخارى : " قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة ، لكن كونها سبب نزول الآية غريب ، وفى إسناده من لا يُعرف فالمعتمد مافى الصحيح " (٢) وبالتالى فإن ما ذكر من أسباب أخرى لا يترجح أمام السبب المذكور فى الصحيح قياساً على ما ذكره السيوطى وابن حجر .

(١) الاتقان فى علوم القرآن ج١ ص ١٠٢ .

(٢) انظر شرح حديث البخارى باب تفسير سورة الضحى فى فتح البارى ٨ / ٧١٠ .

المبحث الرابع

الأدلة على وقوع الوحى

الأدلة على وقوع الوحى

مازال الكثير من الناس قديما وحديثاً ينكرون حقيقة الوحى ، ولا يستسيغونه ويلقون أمامه بكل ما لديهم ليبطلونه ويجحدونه ، لذا أرى أنه يجب الوقوف على إمكانية وقوع الوحى من الناحية العلمية ومن الناحية العقلية لنرى كيف نرد على منكريه وجاحديه .

أولاً : الأدلة العلمية على وقوع الوحي

وهذه الأدلة نرد بها على الذين لا يستندون إلا إلى الحسيات ولا يعترفون إلا بالماديات .

الدليل الأول : التنويم الصناعى : أو التنويم المغناطيسى ، وهو من المقررات العلمية الثابتة التى اعترف بها العلماء علمياً ؛ بعد أن اختبروا به الآلاف من الخلق واطمأنوا إلى تجاربه وأخيراً أثبتوا بوساطته ما يأتى :

١ – أن للإنسان عقلاً باطناً أرقى من عقله المعتاد كثيراً .

٢ – أنه وهو فى حالة التنويم يرى ويسمع من بعد شاسع . ويقرأ من وراء حجب ، ويخبر عما سيحدث ، مما لا يوجد فى عالم الحس أقل علامة لحدوثه .

٣ – أنه قد يصل إلى درجة تخرج فيها روح الوسيط من جسده ، ويصبح كأنما هو ميت .

٤ – أثبتوا من وراء ذلك أن هناك روحاً .

٥ – أن الروح مستقلة عن الجسم كل الاستقلال .

٦ – أن الروح لا تنحلُّ بانحلاله .

٧ – أن للتنويم درجات بعضها فوق بعض يزداد العقل الباطن سمواً

بتنقله فيها . [١]

ويضع الشيخ الزرقانى بين أيدينا تجربة من تجارب التنويم تُقرب إلينا إمكانية الوحى فيقول : " وهذه التجربة رأيتها بعينى ، وسمعتها بأذنى ، بنادى جمعية الشبان المسلمين ، على مرأى ومسمع من جمهور مثقف كبير ، حضر ليشهد محاضرة مهمة فى التنويم المغناطيسى لإثبات أنه يمكن أن يتخذ سلاحاً مسموماً لتغيير عقيدة الشخص ودينه . . وفيها قام المحاضر ، وهو أستاذ فى التنويم المغناطيسى ، وأحضر الوسيط وهو فتى فيه استعداد خاص للتأثر بالأستاذ ، والأستاذ فيه استعداد خاص للتأثير على الوسيط ، فالأول ضعيف النفس ، والثانى قويها . وللضعف والقوة وجوه ليس هذا موضع بيانها ، نظر الأستاذ فى عين الوسيط نظرات عميقة نافذة ، وأجرى عليه حركات يسمونها سَحَبات ، فما هى إلا لحظة حتى رأينا الوسيط يغط غطيط النائم ، وقد امتقع لونه ، وهمد جسمه ، وفقد إحساسه المعتاد ، حتى لقد كان أحدنا يخزه بالإبرة وخزات عدة ، ويخزه كذلك ثانٍ وثالث ، فلا يبدى الوسيط حراكاً ، ولا يظهر أىّ عرض لشعوره وإحساسه بها . وحينئذ تأكدنا أنه قد نام ذلك النوم الصناعى أو المغناطيسى . وهنالك تسلط الأستاذ على الوسيط يسأله : ما اسمك ؟ فأجابه باسمه الحقيقى . فقال الأستاذ : ليس هذا هو اسمك ، إنما اسمك كذا (وافترى عليه اسما آخر) ثم أخذ يقرر فى نفس الوسيط هذا الاسم الجديد الكاذب ، ويمحو منه أثر الاسم القديم الصادق ، بوساطة أغاليط يلقنها إياه فى صورة الأدلة ، وبكلام يوجهه إليه فى صيغة الأمر والنهى . وهكذا أملى عليه هذه الأكذوبة إملاءً ، وفرضها عليه فرضاً ، حتى خضع لها الوسيط وأذعن !

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ص ٥٩ طبعة دار إحياء التراث العربى بيروت – لبنان .

ثم أخذ الأستاذ وأخذنا نناديه باسمه الحقيقى المرة بعد الأخرى فى فترات منقطعة ، وفى أثناء الحديث على حين غفلة ، كل ذلك وهو لا يجيب ثم نناديه كذلك باسمه المصنوع فيجيب ، دون تردد ، ولا تلعثم .

ثم أمر الأستاذ وسيطه أن يتذكر دائما أن هذا الاسم الجديد هو اسمه الصحيح حتى إلى ما بعد نصف ساعة من صحوه ويقظته . ثم أيقظه وأخذ يتم محاضرته ونحن نفجأ الوسيط بالاسم الحقيقى فلا يجيب ، ثم نفجؤه باسمه الثانى فيجيب ، حتى إذا مضى نصف الساعة المضروب عاد الوسيط إلى حالة الأولى من العلم باسمه الحقيقى ! وبهذه التجربة أثبت الأستاذ أن المنوِّم يستطيع أن يمحو من النفس وسيطه كل أثر يريد محوه ، مهما كان ثابتاً فى النفس ، كاسم الإنسان عينه ، ومهما كان مقدساً فيها كعقائد الدين .

وبهذه التجربة ثبت لى أنا من طريق علمى ، ما قرب إلىّ الوحى علمياً ، وما جعلنى أعلله تعليلاً علمياً ، فالوحى " عن طريق الملك " عبارة عن اتصال الملك بالرسول اتصالاً يؤثر به الأول فى الثانى ، ويتأثر فيه الثانى بالأول ، وذلك باستعداد خاص فى كليهما ، فالأول فيه قوة الإلقاء والتأثير لأنه روحانى محض ، والثانى فيه قابلية التلقى عن هذا الملك لصفاء روحانيته ، وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك ، وعند تسلط الملك على الرسول ينسلخ الرسول عن حالته العادية ، ويظهر أثر التغير عليه ، ويستغرق فى الأخذ والتلقى عن الملك ، وينطبع ما تلقاه فى نفسه ، حتى إذا انجلى عنه الوحى وعاد إلى حالته الأولى ، وجد ما تلقاه ماثلاً فى نفسه ، حاضراً فى قلبه ، كأنما كتب فى صحيفة فؤاده كتاباً .

فهل يعقل أن المخلوق يستطيع أن يؤثر فى نفس مخلوق آخر ذلك التأثير بواسطة التنويم المغناطيسى ، ثم لا يستطيع مالك القوى والقدر أن

يؤثر فى نفس من شاء من عباده بواسطة الوحى ؟ كلا ثم كلا إنه سبحانه على ما يشاء قدير . (١)

الدليل الثانى : أن العلم الحديث استطاع أن يخترع العجائب ما نعرفه ونشاهده وننتفع به ، مما يسمونه التليفون ، واللاسلكى ، والميكرفون ، والراديو . ومن طريق أولئك أمكن الإنسان أن يخاطب من كان فى آفاق بعيدة عنه وأن يفهمه ما شاء ويرشده إلى ما أراد . فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية أن يعجز الإله القادر ، عن أن يوحى إلى بعض عباده ما شاء ، عن طريق الملك أو غير الملك ؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

الدليل الثالث : استطاع العلم أيضا أن يملأ بعض اسطوانات من الجماد الجامد الجاهل ، بأصوات وأنغام ، وبقرآن وأصوات وكلام ، على وجه يجعلها حاكية له بدقة وإتقان . أبعد هذه المخترعات القائمة ، يستبعد على القادر تعالى بوساطة ملك ومن غير وساطة ملك ، أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواص عباده ، بكلام مقدس يهدى به خلقه ، ويُظهر به حقه ، على وجه يجعل ذلك الكلام منتقشاً فى قلب رسوله ﷺ حتى يحكيه بدقة وإتقان كذلك ؟

الدليل الرابع : أننا نشاهد بعض الحيوانات الدنيا تأتى بعجائب الأنظمة والأعمال ، مما تخيل معه أن يكون ذلك صادراً عن تفكير لها ، أو غريزة ساذجة فيها ، ومما يجعلنا نوقن بأنها لم تصدر فى ذلك إلا عن إرادة عليا توحى إليها وتلهمها تلك العجائب والغرائب ، من الصناعات والأعمال ، والدقة والاحتيال .

وإذا صح هذا فى عالم الحيوان ، فهو أولى أن يصح فى عالم الإنسان ،

---

(١) مناهل العرفان للزرقانى ج١ ص ٦٠ ، ٦٢ بتصرف .

حيث استعداده للاتصال بالأفق الأعلى يكون أقوى ، وأخذه يكون أتم ، ومن ذلك ما يكون بطريق الوحى .

وإن شئت أمثلة لتلك الحيوانات التى ضربناها لك مثلاً فى إلهاماته العلوية ، فدونك النمل والنحل ، وما تأتيان من ضروب الأعمال ، ودقة النظام .

ثانياً : الدليل العقلى على وقوع الوحى

أما الدليل العقلى على إمكانية وقوع الوحى أن هذه الظاهرة العجيبة ليست أقل إمكانية من وقوع معجزات الأنبياء والرسل فحينما جاء موسى عليه السلام بمعجزته عصا من الخشب ، لا روح فيها ولا حركة ، ولا لين ولا رطوبة ، ثم ألقاها باسم الذى أرسله ؛ فإذا هى حية تسعى ، بينما الأمة التى تحداها بذلك كانت قد تفوقت فى السحر وحذقته ، وضربت فيه بأوفر سهم وأوفى نصيب ، خصوصاً أنهم أمة وهو فرد ، وهم بابغون فى السحر وهو مع نشأته فيهم لم يُعرف يوما من الأيام بمعالجة السحر ، وهم معتزون بعددهم وعُدتهم وسلطانهم ، وهو خلو من هذه الأسباب والمظاهر !

فهل يبقى للشك ظل بعد أن ألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون ، ووقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، وألقى السحرة ساجدين قالوا : آمنا برب العالمين رب موسى وهارون !

ولذلك كان أول من آمن به هم السحرة أنفسهم ، لأنهم أعرف بالسحر ومقدماته ونتائجه ، وقد رأو رأى العين أن ذلك الإعجاز ليس من نوع هذا السحر المبنى على مقدمات يستطيع كل إنسان أن يزاولها ، ولها نتائج محدودة لا يمكن أن يتجاوزها .

نعم لم يطق السحرة صبراً عن المسارعة إلى الاعتراف والخضوع

للحق بعد ما تبين ، مهما كلفهم ذلك أن يُقتلوا أو يُصلبوا ، وقالوا لفرعون مليكهم ومعبودهم بالأمس ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ (١) .

قل مثل ذلك فى معجزة كل رسول أرسله الله : فله فى عيسى عليه السلام وإبرائه الأكمه والأبرص ، وإحيائه الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير بإذن الله ، أمام قوم نبغوا فى الطب أيما نبوغ ومهروا فيه أيما مهارة !

وقل مثل ذلك وأكثر من ذلك فى خاتم الأنبياء سيدنا ومولانا محمد ﷺ وما جاء به من آيات بينات ، ومعجزات واضحات ، وحسبك القرآن وحده برهاناً ساطعاً يتحدى العالم بما فيه من أسرار الفصاحة والبيان ، والعلوم والمعارف ، وأنباء الغيب وشواهد الحق .

أضف إلى ذلك أن الذين شوفهوا بخطابه عند مهبط الوحى كانوا أئمة الفصاحة ، وفرسان البلاغة ، بضاعتهم الكلام والتفنن فى إجادته . (٢)

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة طه : الآيات ٧٢ : ٧٦ .

(٢) هذا المبحث مستفاد من مناهل العرفان للزرقانى ص ٥٨ : ٦٩ باختصار وتصرف .

المبحث الخامس

شبه الجاحدين على الوحى والرد عليها

شبهه الجاحدين على الوحى والرد عليها

تمادى الجهال قديما وحديثاً فى إثارة الشبه الواهيــة حــول الــوحى للتشكيك فى صدقه ، وفيما يلى نعرض لبعض تلك الشبه ونرد إن شاء الله عليها .

الشبهة الأولى :

زعم البعض أن القرآن الكريم من عند محمــد ﷺ ابتكــر معانيــه ، وصاغ أسلوبه ، وليس وحياً يوحى .

الرد على الشبهة :

هذا زعم باطل ، فإنه ﷺ إذا كان يدعى لنفسه الزعامة ويتحدى الناس بالمعجزات لتأييد زعامته فلا مصلحة له فى أن ينسب ما يتحدى به النــاس إلى غيره . وكان فى استطاعته أن ينسب القرآن لنفسه ، ويكون ذلك كافياً لرفعة شأنه ، والتسليم بزعامته ، ما دام العرب جميعاً على فصاحتهم قــد عجزوا عن معارضته ، بل ربما كان هذا أدعى للتسليم المطلق بزعامتــه لأنه واحد منهم أتى بما لم يستطيعوه .

ثم أنه لو كان الوحى تكلفاً من الرسول ﷺ وابتكاراً لكان طوع يمينه ، فكان لا يشاء يوماً أن يأتى بقرآن جديد إلا جاء به من هذا الطريق الــذى اعتاد فى تحضيره . (١)

ولا يقال إنه أراد بنسبة القرآن إلى الوحى الإلهى أن يجعل لكلامــه حرمة تفوق كلامه حتى يستعين بهذا على استجابة الناس لطاعتــه وإنفــاذ

---

(١) النبأ العظيم : ص ٧٢ .

أوامره ، فإنه صدر عنه كلام نسبه لنفسه فيما يسمى بالحديث النبوى ولم ينقص ذلك من لزوم طاعته شيئا ، ولو كان الأمر كما يتوهمون لجعل كل أقواله من كلام الله تعالى .

وهذا الادعاء يفترض فى رسول الله ﷺ أنه كان من أولئك الزعماء الذين يعبرون الطريق فى الوصول إلى غايتهم على قنطرة من الكذب والتمويه ، وهو افتراض يأباه الواقع التاريخى فى سيرته العطرة ﷺ ، وما اشتهر به من صدق وأمانه شهد له بهما أعداؤه قبل أصدقائه .

ومما شهد به الأعداء لمحمد ﷺ " أنه كان سليم الفطرة ، كامل العقل ، كريم الأخلاق ، صادق الحديث ، عفيف النفس ، قنوعاً بالقليل من الرزق ، غير طموع فى المال ، ولا جنوح إلى الملك ، ولم يعن بما كان يعنى به قومه من الفخر والمباراة فى تحبير الخطب ولا قرض الشعر ، وكان يمقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات الوثنية ، ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات البهيمية ، كالخمر والميسر ، وأكل أموال الناس بالباطل " [١] وبهذا كله جزموا بأنه ﷺ كان صادقاً فيما ادعاه .

ولقد كان ﷺ تنزل به النوازل والأزمات التى تتطلب حلاً ، ولكنه لا يجد فى شأنها وحياً يقرؤه على الناس . [٢]

ولقد اتهم المنافقون زوجه عائشة بحديث الإفك ، وهى أحب زوجاته إليه ، واتهامها يمس كرامته وشرفه ، وأبطأ الوحى ، وتحرج الرسول ﷺ وتحرج صحابته معه حتى بلغت القلوب الحناجر ، وبذل جهده فى التحرى والاستشارة ، ومضى شهر بأكمله ، ولم يزد على أن قال لها آخر الأمر

---

(١) الوحى المحمدى ص ٣٩ .

(٢) النبأ العظيم ص ١٦ .

" أما إنه بلغنى كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله " [١] وظل هكذا إلى أن نزل الوحى ببراءتها ، فماذا كان يمنعه لو أن القرآن كلامه من أن يقول كلاماً يقطع به ألسنة المتخرصين ، ويحمى عرضه ؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ ﴾ [٢] .

وفى مرات أخرى كان يجيئه الوحى على غير ما يحبه ويهواه ويخطئه فى الرأى ، ويأذن له فى شئ لا يميل إليه ، وذلك حينما استأذن جماعة فى التخلف عن غزوة تبوك ، وأبدوا أعذاراً ، وكان منهم من انتحل هذه الأعذار من المنافقين وأذن لهم ، فنزل القرآن الكريم معاتباً له لخطأ رأيه ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٤٣ ﴾ [٣] .

ولو كان هذا العقاب صادراً من وجدانه تعبيراً عن ندمه حين تبين له فساد رأيه لما أعلنه عن نفسه بهذا التعنيف الشديد والعتاب القاسى .

ونظير هذا معاتبته ﷺ فى قبول الفداء من أسرى بدر ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ

---

(١) سبق تخريجه ص ٤٥ : ٤٧ من هذا البحث .

(٢) سورة لحاقة : الآيات ٤٤ : ٤٧ .

(٣) سورة التوبة : آية ٤٣ .

عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [١] .

وهناك أيضا وحياً منزلاً يعاتبه فى توليه عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى ﷺ اهتماماً بنفر من أكابر قريش فى دعوتهم إلى الإسلام ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ [٢] .

وأيضا فى قصة زواجه ﷺ من زينب بنت جحش قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [٣] .

يقول الشوكانى : " كان النبى ﷺ قد تبنى زيد بن حارثة ، فكان يقال : زيد بن محمد ، حتى نزل قوله سبحانه : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾ وكانت العرب تعتقد أنه يحرم عليه نساء من تبنوه ، كما تحرم عليه نساء أبنائهم حقيقة .

---

(١) سورة الأنفال : الآيات ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) سورة عبس : الآيات ١ : ١١ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٣٧ .

فأخبرهم الله أن نساء الأدعياء حلال لهم ﴿ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ أى كان قضاء الله فى زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ قضاء ماضياً مفعولاً لا محالة . (١)

وكان النبى ﷺ يكتم أمر الله تعالى له بالزواج من زينب حرجاً من الناس وقولهم تزوج امرأة ابنه ، وقد روى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحى لكتم هذه الآية " . (٢)

الشبهة الثانية :

زعم البعض أن النبى ﷺ كان له من حدة الذكاء ، ونفاذ البصيرة ، وقوة الفراسة ، وشدة الفطنة ، وصفاء النفس ، وصدق التأمل ، ما يجعله يدرك مقاييس الخير والشر ، والحق والباطل ، بالإلهام ، ويتعرف على خفايا الأمور بالكشف والوحى النفسى ، ولا يخرج القرآن عن أن يكون أثراً للاستنباط العقلى ، والإدراك الوجدانى عبر عنه محمد بأسلوبه وبيانه .

الرد على الشبهة :

إن المتدبر لآيات الوحى المنزل لا يجد فيه أبداً ما يعتمد على الذكاء أو الاستنباط ، ومن الأدلة على ذلك . . .

---

(١) تفسير فتح القدير ج ٤ ص ٢٧٧ .

(٢) الترمذى فى التفسير (٣٢٠٧) وقال : " هذا حديث غريب " ، (٣٢٠٨) وقال : " هذا حديث حسن صحيح " .

١ - أن من القرآن ما هو أنباء وأخبار وقصص من سبق من الأمم والجماعات والأنبياء والأحداث التاريخية بوقائعها الصحيحة الدقيقة ، كما يذكر شاهد العيان مع طول الزمن على ذلك . وكما حكت الكتب السماوية السابقة ، بما لا يدع مجالاً للإعمال الفكر ودقة الفراسة ، ولا ينكر أحد أن الرسول محمد ﷺ لم يعاصر تلك الأمم وهذه الأحداث فى قرونها المختلفة ، حتى يشهد وقائعها وينقل أخبارها ، كما لم يتوارث كتبها ليدرس دقائقها ويروى أنباءها بالإضافة إلى كونه كان أمياً ﷺ لا يعرف القراءة ولا الكتابة .

ومن هذه الأنباء والأخبار قصة موسى وتكليم رب العالمين له قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾ (١) .

وكذلك أهل مدين ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ (٢) .

وأيضا قصة مريم وكفل زكريا عليهما السلام لها ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ (٣) .

قال المفسرون : " إذا تقرر أن الوقوف على تفاصيل تلك الأحوال لا يمكن أن يكون بالحضور عندها من نبينا محمد ﷺ والمشاهدة لها منه ،

---

(١) سورة القصص : الآيات ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) سورة القصص : آية ٤٥ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٤٤ .

وانتفى أيضا بالأدلة الصحيحة أنه ﷺ لم يتلق ذلك من غيره من البشر ولا علمه معلم منهم ، تبين أنه من عند الله سبحانه بوحى منه إلى رسوله بواسطة الملك النازل بذلك " . (١)

٢ – أن من القرآن ما هو أنباء وحسابات دقيقة لا يعلمها إلا الدارس البصير . مثال ذلك . . قصة نوح حيث يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٢) . وهذا موافق لما جاء فى سفر التكوين من التوراة .

وفى قصة أصحاب الكهف قال تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (٣). وهى عند أهل الكتاب ثلاثمائة سنة شمسية، والسنون التسع هى فرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية .

فمن أين أتى محمد ﷺ بهذه الدقائق الصحيحة لو لم يكن يوحى إليه وهو الرجل الأمى الذى عاش فى أمة أمية لا تكتب ولا تحسب وإنما جاءته هذه الأنباء فجأة بعد أن بلغ سن الأربعين .

٣ – أن من القرآن ماهو غيبيات تتحدث عن بدء الخلق ونهايته ، والحياة الآخرة وما فيها من الجنة ونعيمها ، والنار وعذابها ، وما يتبع ذلك من الملائكة وأوصافهم ووظائفهم ، وهذه معلومات لا مجال فيها لذكاء العقل وقوة الفراسة البتة فمن أين له العلم بها ؟ قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ

---

(١) تفسير الشوكانى ج٤ ص ١٧٠ .

(٢) سورة العنكبوت : آية ١٤ .

(٣) سورة الكهف : آية ٢٥ .

أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ [١] .

٤ - أن من القرآن ما هو أخبار مستقبلية تحكى عن قوة قوم وضعف آخرين ، وصعود وهبوط ، وعزة وذلة ، وبناء ودمار ، وتلك هى سنة الله فى الكون . [٢] ومن ذلك قوله تعالى عن حرب الفرس والروم : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ [٣] .

قال أهل التفسير : غلبت فارس الروم ففرح بذلك كفار مكة وقالوا : الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب . وافتخروا على المسلمين وقالوا : نحن أيضا نغلبكم كما غلبت فارس الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وخرج أبو بكر الصديق ﷺ إلى الكفار وقال لهم : " فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن على فارس على ما أخبرنا بذلك نبينا " وعند رأس سبع سنين ظهرت الروم على فارس يوم الحديبية ، وقيل : كان يوم بدر . [٤]

فمن أين له ﷺ التنبؤ بذلك ؟ وأمثلة ذلك كثيرة فى القرآن .

---

(١) سورة المدثر : آية ٣١ .

(٢) مباحث فى علوم القرآن ص ٤٠ : ٤٥ بتصرف وزيادة .

(٣) سورة الروم : الآيات ٢ : ٥ .

(٤) تفسير معالم التنزيل ج٣ ص ٤٧٥ : ٤٧٦ باختصار .

وقد كان ﷺ عاجزاً عن إدراك حقيقة ما وقع بين خصمين اختصما عنده أحدهما غنى والآخر فقير ، وكان خلقه ﷺ مع الفقير يرى أنه لا يظلم الغنى ، فأبى الله تعالى إلا أن يقوم بالقسط فى الغنى والفقير وألا يتعجل فى حكمه [١] ، فقال تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [٢].

فأين فراسته ﷺ هنا وشدة فطنته ومعرفته بخفايا الأمور ؟

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : " هذا الرأى هو الذى يروجه الملحدون اليوم باسم " الوحى النفسى " زاعمين أنهم بهذه التسمية قد جاءونا برأى علمى جديد . وما هو بجديد . وإنما هو الرأى الجاهلى القديم ، لا يختلف عنه فى جملته ولا فى تفضيله ، فقد صوروا النبى ﷺ رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق فهو إذا شاعر ، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى كثيراً على حواسه حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه ، وما ذاك الذى يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته ووجداناته فهو إذاً الجنون أو أضغاث الأحلام ، على أنهم لم يطيقوا الثبات طويلاً على هذه التعليلات ، فقد اضطروا أن يهجروا كلمة " الوحى النفسى " حينما بدا لهم فى القرآن جانب الأخبار الماضية والمستقبلة ، فقالوا : لعله تلقفها من أفواه العلماء فى أسفاره للتجارة ، فهو إذا قد علمه بشر ، فأى جديد ترى فى هذا كله ؟ أليس كله حديثاً معاداً يضاهون به قول جهال قريش ؟ وهكذا كان الإلحاد فى ثوبه الجديد صورة منتسخة ، بل ممسوخة منه فى أقدم أثوابه ، وكان غذاء هذه الأفكار المتحضرة فى العصر الحديث مستمداً من فتات الموائد التى تركتها تلك القلوب المتحجرة فى عصور الجاهلية الأولى : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص ١٥١ .

(٢) سورة النساء : آية ١٣٥ .

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [١] .

وإن تعجب فعجب قولهم مع هذا كله أنه كان صادقاً أميناً ، وأنه كان معذوراً فى نسبة رؤاه إلى الوحى الإلهى ، لأن أحلامه القوية صورتها له وحياً إلهياً ، فما شهد إلا بما علم ، وهكذا حكى الله لنا عن أسلافهم حيث يقول : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٢] فإن كان هذا عذره فى تصوير رؤاه وسماعه فما عذره فى دعواه أنه لم يكن يعلم تلك الأنباء لا هو ولا قومه من قبل هذا ، بينما هو قد سمعها بزعمهم من قبل ؟ فليقولوا إذا إنه افتراه ليتم لهم بذلك محاكاة كل الأقاويل ، ولكنهم لا يريدون أن يقولوا هذه الكلمة لأنهم يدعون الإنصاف والتعقل ، ألا فقد قالوها من حيث لا يشعرون " . [٣]

الشبهة الثالثة :

زعم الجاهليون قديماً وحديثاً أن محمداً ﷺ قد تلقى العلوم القرآنية على يد معلم .

قيل : إنه بحيرى الراهب الذى لقيه ﷺ فى مدينة بصرى بالشام ، وقالوا إنه كان نسطورياً من أتباع آريوس فى التوحيد وينكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث ، وأن محمداً ﷺ لابد أن يكون علم منه عقيدته .

وقيل : إن ورقة بن نوفل كان من متنصرة العرب العلماء بالنصرانية

---

(١) سورة البقرة : آية ١١٨ .

(٢) سورة الأنعام : آية ٣٣ .

(٣) النبأ العظيم ص ٦٥ وما بعدها .

، وأحد أقارب خديجة وأن محمداً ﷺ أخذ عنه دعوته إلى النصرانية . [١]

وقيل : أنه كان فى مكة حداد رومى يصنع السيوف وغيرها ، فكان النبى ﷺ يقف عنده أحياناً يشاهد صنعته فاتهموه بأنه يتعلم منه . [٢]

الرد على الشبهة :

أما كونه ﷺ قد تلقى العلوم القرآنية على يد معلم فهذا حق لا مراء فيه إلا أن المعلم الذى تلقى عنه هو ملك الوحى ، فقد نشأ ﷺ أمياً وعاش أمياً ، فى أمة أمية لم يُعرف فيها أحد يحمل وسام العلم والتعلم ، وهذا واقع يشهد به التاريخ ، ولا مرية فيه .

أما أن يكون له معلم من غير قومه فإن الباحث لا يستطيع أن يقع فى التاريخ على كلمة واحدة تشهد بأنه لقى أحداً من العلماء حدثه عن الدين قبل إعلان نبوته . [٣]

وأما ما ادعوه عن تعلمه من بحيرى فافتراء وبهتان أسرفوا فيه وكل ما عرفه وذكره التاريخ الصحيح أنه ﷺ لما بلغ اثنتى عشرة سنة – قيل وشهرين وعشرة أيام – [٤] ارتحل به أبو طالب تاجراً إلى الشام ، حتى وصل إلى بصرى وكان فى هذا البلد راهب عرف ببحيرى ، فلما نزل الركب خرج إليهم وأكرمهم بالضيافة ، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك وعرف رسول الله ﷺ بصفته ، فقال وهو آخذ بيده : هذا سيد العالمين ، هذا

---

(١) الوحى المحمدى ص ٤٩ .

(٢) الوحى المحمدى ص ٦٨ .

(٣) مباحث فى علوم القرآن ص ٤٧ .

(٤) تلقيح فهوم أهل الأثر : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ص ٧ طبعة جيد برقى بريس دهلى الهند .

يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال أبو طالب : وما علمك بذلك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخر ساجداً ، ولا تسجد إلا لنبى ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة ، وإنا نجده فى كتبنا ، وسأل أبا طالب أن يرده ، ولا يقدم به إلى الشام خوفاً عليه من اليهود ، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة . (١)

أما عن دعواهم أنه عرف الدعوة إلى النصرانية من ورقة بن نوفل فقد ثبت بعد استقصاء المحدثون المؤرخون لكل ما عُرف عن علاقة ورقة بالنبى ﷺ أن خديجة رضى الله عنها أخذته إلى ورقة عقب إخباره إياها بما رآه فى حراء ، وكان ورقة شيخاً أعمى ، وأنه لم يلبث أن توفى بعد ذلك . (٢)

وأما دعواهم أنه تعلم من حداد رومى فهو أمر لا يستساغ عقلاً فكيف تكون تلك العلوم القرآنية صادرة من رجل لم تعرفه مكة عالماً متفرغاً لدراسة الكتب ، بل عرفته حداداً منهمكاً فى مطرقته وسندانه ، عاميّ الفؤاد ، أعجمى اللسان ، لا تعدو قراءته أن تكون رطانة بالنسبة إلى العرب (٣) ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٤) .

الشبهة الرابعة :

أنه ﷺ استفاد من أسفاره فى رحلتى الشتاء والصيف ، حيث كان

---

(١) مختصر سيرة الرسول : الشيخ عبد الله بن محمد النجدى ص ١٦ المطبعة السلفية ومكتبتها الروضة بمصر ١٣٧٩ هـ ، والرحيق المختوم ص ٤٩ ، وسيرة ابن هشام ١ / ١٨٠ : ١٨٣ .

(٢) الوحى المحمدى ص ٤٩ : ٥٠ بتصرف .

(٣) مباحث فى علوم القرآن ص ٤٧ : ٤٨ .

(٤) سورة النحل : آية ١٠٣ .

يجتمع بالنصارى كلما مر بصومعة أو بدير للرهبان ، فعلم منهم وممن اقيه فى مكة نفسها كثيراً من المعلومات عن النبيين والمرسلين الذين بعثهم الله فى بنى إسرائيل وغيرهم فتعلقت نفسه بهذه الأخبار ثم سردها بعد ذلك على أنها وحى أوحى إليه .

الرد على الشبهة :

١ - إن محمداً ﷺ لم يذهب مع عمه إلى التجارة فى الشام إلا وهو طفل كما تقدم . وقد أعاده إلى مكة قبل إتمام رحلته ، ثم سافر إليها فى تجارة خديجة وهو شاب مرة واحدة ، ولم يتجاوز سوق مدينة بصرى فى المرتين ، ولم تكن هذه القوافل تضيع شيئاً من وقتها للبحث مع العرب أو الأعراب فى طريقها عن أنبائها والتاريخ القديم لبلادها ، ولم يعرف عن تجارها أنهم كانوا يعنون بلقاء أحبار النصارى ومباحثتهم فى دينهم وكتبهم . فمن أين لكم أن محمداً ﷺ هو الذى كان يشتغل فى تلك التجارة بالبحث عن الأمم والتواريخ والكتب والأديان ؟ ويعنى بلقاء رؤسائها والبحث معهم كما يفعل رواد العلم والتاريخ والكتب وجواسيس السياسة فى هذا العصر . (١)

٢ - إن القرآن كما أنه نزل مصدقاً لكتب أهل الكتاب من حيث كونها فى الأصل من وحى الله إلى موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم فقد حكم أيضا على أهل هذه الكتب بأنهم أوتوا نصيباً من الكتاب ، أى لا كله . قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً

---

(١) الوحى المحمدى ص ٥٣ .

وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (١) .

فنصت الآية الكريمة على أن القرآن جاء مهيمناً على الكتب السابقة ورقيباً وحاكماً عليها ثم قال تعالى عن إتيانهم نصيباً فقط من الكتاب لا كل الكتاب ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢) .

وفى آية أخرى يذكر سبحانه أنهم نسوا حظا منه قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (٣) .

ويذكر سبحانه أيضا أنهم حرفوا كلمه عن مواضعه فيقول سبحانه : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٤) .

فبين بذلك القرآن الكريم أنهم خالفوا واختلفوا فى الكثير من مسائل العقائد والأحكام والأخبار ، ومثل هذه الأحكام العليا عليهم لا يمكن أن

---

(١) سورة المائدة : آية ٤٨ .

(٢) سورة النساء : آية ٤٤ .

(٣) سورة المائدة : آية ١٣ .

(٤) سورة البقرة : آية ٧٥ .

تكون مستمدة من أفراد من الرهبان أو غير الرهبان ، أفاضوها على محمد فى رحلته إلى الشام ، سواء كان عند بعضهم بقية من التوحيد الموسوى والعيسوى الذى كان يقول به بعض أحبارهم ، وسواء أكان لدى بعضهم بقية من الأناجيل التى حكمت الكنيسة الرسمية بعدم قانونيتها كإنجيل طفولة المسيح وإنجيل برنابا أم لا ، فمحمد ﷺ لم يعقد فى الشام ولا مكة مجمعاً مسيحياً كمجامع الكنيسة للترجيح بين الأناجيل والمذاهب المسيحية ، ويحكم بصحة بعضها دون بعض .

إن وقوع مثل هذا منه فى تلك الرحلة مما يعلم واضعوا هذه الأخبار ببداهة العقل مع عدم النقل أنه محال عادة ، وعلى فرض وقوعه يقال : كيف يمكن أن يحكم بين تلك الأناجيل وتلك المذاهب برأيه فى تلك الخلسة التجارية للنظر فيها ويأمن على حكمه الخطأ ؟ وقد صح عنه ﷺ أنه قال لأصحابه فى شأن أهل الكتاب " لا تصدقوهم ولا تكذبوهم " يعنى فيما سكت عنه القرآن ، لئلا يكون ما كذبوهم فيه مما حفظوا ، أو يكون ما صدقوهم به مما نسوا حقيقته ، أو حرفوا أو بدلوا . (١)

٣ – أن فى القرآن ما هو مخالف للعهدين العتيق والجديد وهو مما لا يعلم إلى الآن أن أحداً من اليهود والنصارى قال به ، كمخالفة سفر الخروج فيمن تبنت موسى ، ففيه أنها ابنة فرعون ، وفى القرآن أنها امرأته .

إن ما جاء به محمد أكبر وأعظم من كل ما فى الكتب الإلهية ما صح منها وما لم يصح ، فالوحى القرآنى كان أعلى وأكمل من جميع ما حُفظ عن أنبياء الله ورسله لأنه الخاتم لهم ، المكمل لشرائعهم الخاصة والموقوتة (٢).

---

(١) الوحى المحمدى ص ٧١ : ٧٣ باختصار .

(٢) الوحى المحمدى ص ٧٣ .

الشبهة الخامسة :

زعم البعض أن النبى ﷺ كان قد سمع أن الله ﷻ سيبعث نبياً مثل أولئك الأنبياء من العرب فى الحجاز كان قد بشر به عيسى المسيح وغيره من الأنبياء ، عليهم جميعاً السلام ، وأن هذا علق بنفسه فتعلق رجاؤه بأن يكون هو ذلك النبى الذى آن أوانه ، فانقطع إلى عبادة الله تعالى ، وتوجه إليه فى خلوته بغار حراء ، فقوى إيمانه ، وسما وجدانه ، فاتسع محيط تفكيره ، وتضاعف نور بصيرته ، فاهتدى عقله الكبير إلى الآيات البينات فى ملكوت السموات والأرض على وحدانية مبدع الوجود ، وسر النظام السارى فى كل موجود ، بما صار به أهلاً لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وما زال يفكر ويتأمل ، وينفعل حتى أيقن أنه النبى المنتظر ، الذى بعثه الله لهداية البشر ، فتجلى له هذا الاعتقاد فى الرؤى المنامية ثم قوى حتى صار يتمثل له الملك ويلقنه الوحى فى اليقظة . (١)

الرد على الشبهة :

١ – أنه ﷺ لم يرد عنه أى خبر فى الأحاديث الصحيحة أنه كان يرجو أن يكون هو النبى المنتظر الذى كان يتحدث عنه بعض علماء اليهود والنصارى قبل بعثته ، ولو روى عنه شئ من ذلك لدونه المحدثون لأنهم ما تركوا شيئا بلغهم عنه إلا دونوه كما رووا مثله عن أمية بن الصلت حيث قالوا عنه : " أنه سمع من علماء أهل الكتاب عن قرب ظهور النبى الذى بشر به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء ، فلبس المسوح تعبداً ، وكان يذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ، وحرم الخمر ، وتجنب الأوثان ، وطمع

---

(١) الوحى المحمدى ص ٦٩ .

فى النبوة لأنه قرأ فى الكتب أن نبياً يبعث بالحجاز ، فرجا أن يكون هو ، فلما بعث النبى ﷺ حسده فلم يسلم " . (١)

ولقد صرح القرآن الكريم بأنه ﷺ لم يكن يرجو هذا ولا يؤمله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (٢) . قال الفراء : هذا من الاستثناء المنقطع معناه : لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن. (٣)

٢ – أن حديث بدء الوحى الذى أثبته الشيخان فى الصحيحين وغيرهما من المحدثين صريح فى أنه خاف على نفسه لما رأى الملك أول مرة ، ولم تجد زوجته خديجة بنت خويلد العاقلة المفكرة وسيلة يطمئن بها على نفسه وتطمئن هى عليه إلا استفتاء أعلم العرب بهذا الشأن وهو ابن عمها ورقة بن نوفل الذى كان تنصر ، قرأ كتب اليهود والنصارى . (٤)

٣ – لو كانت النبوة أمراً كان يرجوه محمد ﷺ ويتوقعه ، وكان قد تم استعداده باختلائه وتعبده فى الغار وما صوروا به حاله فيه من الفكر المضطرب ، والوجدان الملتهب ، والقلب المتقلب ، حتى إذا كمل استعداده تجلى له رجاؤه له واعتقاده ، بما تم به مراده ، لظهر عقب كل ما كانت تنطوى عليه نفسه الوثابة ، وفكرته الوقادة في سورة أو سور من أبلغ سور القرآن ، فى بيان أصول الإيمان ، وتوحيد الديان ، واجتثاث شجرة الشرك وعبادة الأوثان ، وتشريع الأحبار والرهبان واتخاذ الولد للرحمن ، وإنذار

---

(١) الوحى المحمدى ص ٥٠ ، ٥١ باختصار .

(٢) سورة القصص: آية ٨٦ .

(٣) تفسير البغوى ج٣ ص ٤٥٩ .

(٤) نص الحديث ص ٣١ من هذا البحث .

رءوس الكفر والطغيان ما سيلقون فى الدنيا من الخزى والنكال ، وفى الآخرة من عذاب النار ، كسور المفصل ، ولا سيما ق والقرآن المجيد ، والذاريات ، والطور ، والنجم ، والقمر ، ثم الحاقة ، والنبأ ، أو فى سورة أو أكثر من السور الوسطى التى تقرعهم بالحجيج ، وتأخذهم بالعبر ، وتضرب لهم المثل بسنن الله فى الرسل ، كسور الأنبياء ، والحج ، والمؤمنون .

ولكنه ظل ثلاث سنين لم يتل فيها على الناس سورة ، ولم يدعهم إلى شئ ولا تحدث إلى أهل بيته ولا أصدقائه بمسألة من مسائل الإصلاح الدينى الذى توجهت إليه بزعمهم نفسه ، ولا من ذم خرافات الشرك الذى ضاق به ذرعاً ، إذ لو تحدث بذلك لنقلوه عنه ، وناهيك بألصق الناس به : خديجة ، وعلى ، وزيد بن حارثة فى بيته ، وأبى بكر الصديق الذى عاشره طول عمره ، فهذا السكوت وحده فى فترة الوحى برهان قاطع على بطلان ما صوروا به استعداده للوحى للذاتى الذى زعموه ، واستعداده لعلومه من التلقى الذى اختلقوه والاختبار الذى توهموه . (١)

(١) الوحى المحمدى ص ٧٠ .

ثبت المراجع والمصادر

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب فى تفسير القرآن الكريم :

١ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود محمد بن محمد العمادى المتوفى عام ٩٥١ هـ – طبعة : الجمعية الملاوية الأزهرية ، وطبعة صبيح بالقاهرة .

٢ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبى سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوى المتوفى عام ٧٩١ هـ – طبعة : عبد الرحمن محمد ١٣٤٤ هـ ، ١٩٢٥ م .

٣ – التفسير العلمى للآيات الكونية لحنفى أحمد – دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠ م .

٤ – الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى – طبعة دار الكاتب العربى سنة ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م .

٥ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى عام ٥٣٨ هـ – طبعة مصطفى الحلبى ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .

٦ – تفسير القرآن العظيم : للحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقى المتوفى فى عام ٧٧٤ هـ – طبعة دار إحياء الكتب العلمية .

٧ – تفسير القرآن الكريم لجلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى – طبعة دار القلم ١٩٦٦ م .

٨ – تفسير معالم التنزيل للإمام الجليل محى السنة محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى المتوفى سنة ٥١٦ هـ ، إعداد وتحقيق

خالد عبد الرحمن العك – طبعة دار المعرفة – الطبعة الخامسة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

٩ – زاد المسير فى علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن على بن محمد الجوزى – طبعة دار الفكر ١٩٨٧ م .

١٠ – فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد ابن على بن محمد الشوكانى ، حققه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن عميرة – طبعة دار الوفاء الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

١١ – معجم ألفاظ القرآن الكريم – وضع مجمع اللغة العربية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بمصر سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

ثالثاً : كتب فى علوم القرآن :

١٢ الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٨٤٩ – ٩١١ هـ – تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا – طبعة دار ابن كثير – دمشق – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

١٣ – الظاهرة القرآنية " نظرة جديدة فى دراسات القرآن " للكاتب الجزائرى مالك بن نبى ، ترجمة عبد الصبور شاهين – طبعة العروبة ١٩٥٨ م .

١٤ – المدخل لدراسة القرآن للشيخ محمد محمد أبى شهبة – طبعة الأزهر ١٩٥٨ م .

١٥ – النبأ العظيم : نظرات جديدة فى القرآن للشيخ الجليل الدكتور محمد عبد الله دراز المتوفى ١٩٥٨ م – طبعة العروبة بالقاهرة ١٩٦٠ م .

١٦ – الوحى المحمدى للسيد محمد رشيد رضا – طبعة الزهراء للإعلام العربى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، القاهرة – الطبعة السادسة .

١٧ – رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده – طبعة دار الهلال ١٩٦٣ م .

١٨ – تاريخ القرآن للأستاذ إبراهيم الإبيارى – طبعة دار القلم ١٩٦٥ م .

١٩ – لمحات فى علوم القرآن واتجاهات التفسير للدكتور محمد بن لطفى الصباغ ، طبعة المكتب الإسلامى – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

٢٠ – مباحث فى علوم القرآن لمنّاع القطّان – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة والثلاثون ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

٢١ – مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى – طبعة دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة .

٢٢ – من قضايا الوحى والتنزيل فى القرآن الكريم للدكتور عبد الفتاح ابراهيم سلامه – طبعة دار الصحابة للتراث – طنطا – جمهورية مصر العربية – الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

رابعاً : كتب السنة النبوية :

٢٣ – اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (البخارى ومسلم) جمع وتعليق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى – طبعة عيسى الحلبى .

٢٤ – المستدرك لأبى عبد الله محمد الحاكم النيسابورى – طبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد – الهند سنة ١٣٣٣ هـ .

٢٥ – سنن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ٢٠٢ – ٢٧٥ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة سنة ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م .

٢٦ - سنن الترمذى - المطبوع مع تحفة الأحوذى - طبعة الهند سنة ١٣٤٣ .

٢٧ - سنن النسائى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى ٢١٥ - ٣٠٣ هـ - مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

٢٨ - صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمى البستى ، تحقيق شعيب الرناؤوط ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٤ هـ .

٢٩ - صحيح البخارى للإمام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى عام ٢٥٦ هـ - طبعة الشعب .

٣٠ - صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى المتوفى ٢٦١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٧٤ هـ .

٣١ - صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى بشرح محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى - طبعة المصرية .

٣٢ - فتح البارى ، أحمد بن على بن حجر العسقلانى ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ - المطبعة السلفية ومكتبتها ، الروضة - القاهرة .

٣٣ - مسند أحمد للإمام أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى عام ٢٤١ هـ بشروح وتعليقات البحاثة أحمد محمد شاكر طبعة المطرف ، الطبعة الثالثة .

٣٤ – معالم السنن للخطابى ، تحقيق أحمد شاكر وحامد الفقى – مطبعة السنة المحمدية بمصر – سنة ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .

خامساً : كتب السيرة :

٣٥ – الرحيق المختوم " بحث فى السيرة النبوية " على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، للشيخ صفى الرحمن المباركفورى – طبعة المكتبه العصرية بيروت ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

٣٦ – تلقيح فهوم الأثر لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى المتوفى ٥٩٧ هـ – جيد برقى بريس دهلى – الهند .

٣٧ – زاد المعاد فى هدى الخير العباد لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر الشهير بابن قيم الجوزية المتوفى ٧٥٢ هـ بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى ، طبعة السنة المحمدية .

٣٨ – ساعات حرجة فى حياة الرسول ﷺ للأستاذ عبد الوهاب حموده – طبعة المكتبة الثقافية .

٣٩ – سيرة النبى ﷺ لابن اسحاق وتهذيب محمد بن عبد الملك بن هشام ، تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة كتاب التحرير – القاهرة ١٣٨٣ هـ .

٤٠ – مختصر سيرة الرسول – ﷺ – للشيخ عبد الله بن محمد النجدى آل الشيخ المتوفى بمصر سنة ١٢٤٢ هـ – المطبعة السلفية ومكتبتها الروضة بمصر ١٣٧٩ هـ .

سادساً : مراجع لغوية :

٤١ – أساس البلاغة لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى المتوفى ٥٣٨ هـ – طبعة الشعب .

٤٢ - القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى المتوفى ٨١٧ هـ - طبعة مصطفى الحلبى .

٤٣ - المصباح المنير لأحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى المتوفى ٧٧٠ هـ - طبعة الأميرية .

٤٤ - لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى المتوفى ٧١١ هـ - طبعة الدار المصرية للتأليف والنشر .

٤٥ - مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى - طبعة المطبعة الأميرية .

سابعاً : كتب أسباب النزول :

٤٦ - أسباب النزول للسيوطى - طبعة نصير بمصر ١٩٨٣ م .

٤٧ - أسباب النزول للإمام ابى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ، المتوفى ٤٦٨ هـ ، دراسة وتحقيق الدكتور السيد الجميلى الناشر دار الكتاب العربى - بيروت - الطبعة السادسة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

ثامناً : مراجع عامة :

٤٨ - مقدمة ابن خلدون للمفكر الاجتماعى والمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون ، طبعة التقدم ، وهى الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العجم والبربر .